الديوان

الدستور

المحرر العام: محمد الباز

الأحد ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤ ٢٦ ربيع الأول ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد
11

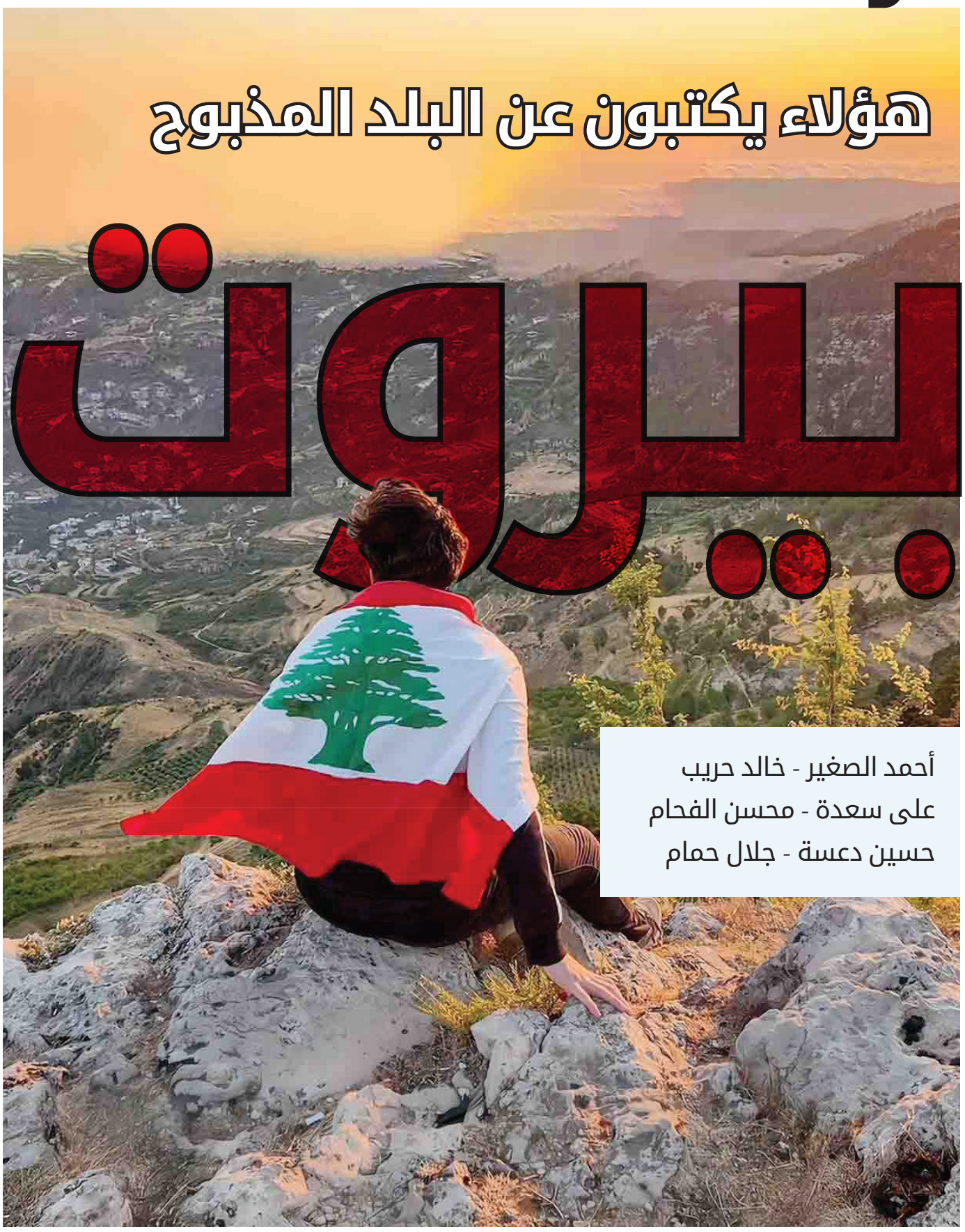

هؤلاء يكتبون عن البلد المذبوح

بيروت...

أحمد الصغير - خالد حريب
على سعدة - محسن الفحام
حسين دعسة - جلال حمام

محمد السيد صالح:

«سيناء الخضراء».. والسم فى العسل

أسامة عبد الرءوف الشاذلى:

قراءة فى تاريخ فلسطين: شريعة القتل وفقه الإبادة «5»

د. منى حلمى:

العلم ليس القضية ولكن الشخص الذى يستخدم العلم

هند جاد:

فى مرمى نيران متسولى «التيك توك»

أحمد الخميسى:

شاركنى هذا الذهول.. لو سمحت!

أحمد الصغير:

لبنان..

ذبحته الطوائفُ وليدًا.. ودهسته الميليشيا كبيرًا!

آهٍ منكِ يا جارة القمر؛ كم خدعتِنى فرأيتُ لبنانَ جميلا بجمال صوتك، متناغما متناسقا فى تناغم خصلات شعرك، حتى خجل وجنتيكِ حين يرتعد المسرح بهتاف السامعين فقد خلتُ لبنانا خجولا مثلك؛ فى مقتبل عمرى - وحين طالعتُ أسماء دورِ النشر اللبنانية على بعض الكتب أنيقة الطباعة، وحين كنتُ أستمع إلى جارة القمر فيروز، ثم أشاهد تدلل صباح، وأستمع إلى صوت الجبل – كنتُ أحسد هذا الوطن العربى الذى اعتقدتُ وقتها أنه قد نجا من فخاخ العرب؛ اكنتُ أرى هذه الدولة – حين قارنت تاريخها فى صناعة السينما بتاريخ مصر – بمثابة أختٍ صغيرة لمصر ترتدى تنورة فيروز تركض بين حقول الموالح تحاول أن تسابق شقيقتها الكبرى فتسبقها حينا وتكتفى بمحاولة اللحاق بها أحيانا أخرى؛ فها هى الطباعة بالأحرف السيريانية تبدأ فى لبنان قبل أن تبدأ فى مصر؛ وها هى مصر تسبق لبنان فى صناعة السينما، وهكذا؛

لبنان.. نبتة الطوائف وليدًا.. وحديقة الميليشيا كبيرًا!

حتى كانت رحلتى المؤلمة منذ سنوات طويلة مع قراءة التاريخ الذى بدد كل هذه الخيالات والأوهام الجميلة الساذجة! حين يقرأ أحدُنا تاريخ لبنان — إن استطاع الحفاظ على عقله سليما من مس الجنون — فسوف يشيح بوجهه بعيدا قبل أن يوجز هذا التاريخ فى عبارات موجزة حزينة تقول.. لبنان وطنٌ ذُبح رضيعا ولقد ذبحه شعبُه ممثلًا فى زعماء الطوائف الدينية المكونة لهذا الشعب! ثم دُهِسَ كبيرا تحت أقدام الميليشيا!.

إنهم هم وحدهم — زعماء الطوائف - وبحرية اختيار كاملة قرروا أن يغرسوا الطعنة الأولى بظهره مجتمعين! كلمة الذبح الأولى قادت إلى الكلمات التالية الأكثر قسوة!.

خطوة هبوط أولى تقود إلى باقى درجات البئر العميقة، حتى قامت ما بقيت من ميليشيات الطوائف بتقديمه مكبل الأيدى والقدمين فريسة سهلة على مذبح صهيونى مجرد من كل دين أو قيم وأول ما عب منه من دماء كانت دماء الأنبياء والقديسين، ويعشق كالكائنات الخرافية دماء ملائكة البشر أو الأطفال!

نعم لقد آلمتنا مشاهد استهداف العيون والوجوه وصراخ النساء والأطفال فزعا فى المتاجر والشوارع! ولكن آلمنا أكثر أن الميليشيا لم تكن بذلك الفُجر القتالى والحربى والسياسى حتى وهى تدافع عن شرفها المزعوم الذى كانت به وهى تمارس تجبرها وهى تقتاد وطنا كإنسان مختل عقليا فاقد الأهلية! لم يأذن سادتها لها بدفع العار عن ثوبها فخنعت وأطاعت وشاهدت صواريخها المزعومة تفجر فى مخازنها بدلا من أن تحصد بعضًا من أرواح من دأبوا على هتك شرفها مرة تلو المرة!

لكننى وللأسف فقدت قدرتى على الألم مع ما قرأته عن قصة هذا الوطن مع أبنائه! وأعتقد أن صدمة الجمهور العربى — والمصرى أيضا — ستكون كبيرة حين يدرك مأساة لبنان الحقيقية. وأول مفردة لافتة للنظر وتشى بأن هناك شيئا ما خلفها، هو أن هذا الوطن الذى لا تتجاوز مساحته عشرة آلاف ونصف كيلو متر مربع أحد أهم ملامحه أن عدد من هجره من أبنائه خاصة بعد استقلاله يبلغ ضعفى أو أحيانا ثلاثة أضعاف عدد من تشبث بالأمل الواهن فى أن يعود بهم الزمن عقودا للوراء ليختاروا أن يجعلوا من لبنان وطنا لا فندق إقامة!.

فعلى سبيل المثال بلغ عدد المقيمين من اللبنانيين فى لبنان عام ٢٠٠٠م حوالى ٣ ملايين ونصف المليون مواطن، فى حين بلغ عدد اللبنانيين المهاجرين ما يزيد عن ٨ ملايين مواطن!

وفى عام ٢٠٠٧م بلغ عدد سكانه ما يقرب من ٤ ملايين مواطن يقابله حوالى ثلاثة أرباع مليون من غير اللبنانيين، غالبيتهم من اللاجئين الفلسطينيين حوالى ٢٧٠ ألفا. وفى عام ٢٠٢٢م بلغ العدد أربعة ملايين ونصف مقابل مليون ونصف من غير اللبنانيين. يشكل العرب ٩٥٪ منهم ويشكل الأرمن ٤٪، بينما ١٪ من مختلفى الجنسيات. ومن أدق التعدادات تعداد عام ٢٠١١م الذى بلغ عدد السكان به ٣ مليون. نصف لبنانى و٥٤٤ ألف فلسطينى من لاجئ المخيمات وتشكيلة من مختلف الجنسيات، مثل الفرنسيين ٢٢ ألفا، و٣٦ ألف سورى، و١٨ ألف عراقى، و١٤ ألف فلبينى، و١٣٠٠ يهودى!.

فى لبنان ١٨ طائفة دينية منها مسيحيون (الموارنة، الروم الأرثوذكس، الروم الكاثوليك، وأرمن أرثوذكس، وأقباط)، ومسلمون (دروز، علويون، سنة).

فى إحصاء ١٩٣٢م بلغت نسبة المسيحيين ٥٢٪، ونسبة المسلمين ٤٨٪ حين كان عدد سكان لبنان لا يتجاوز ٨٠٠ ألف. بعد ذلك تغيرت النسبة رغم هجرة المسيحيين إلى لبنان مثل الأرمن والسوريين والفلسطينيين، وذلك لارتفاع نسبة المهاجرين المسيحيين من لبنان إلى خارجها. بلغت النسبة عام ٢٠٠٧م ٤١٪ مسيحيين، مقابل ٥٨٪ للمسلمين. بينما قدرت المخابرات المركزية النسبة فى نفس العام ٣٩٪ للمسيحيين مقابل ٦١٪ للمسلمين.

كيف سقط لبنان فى الفخ؟

بعد استقلال لبنان كان أمامه فرصة تاريخية ليصبح النموذج العربى الأمثل، لكنه أُسقِطَ فى الفخ مبكرا جدا ولم يخرج منه أبدا!

كان لبنان جزءا من الإمبراطورية الفينيقية شرق المتوسط من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادى حين خضع للإمبراطورية الرومانية ثم تحول للمسيحية. وفى عام ٦٣٥م دخل الإسلامُ لبنان على أيدى قبائل عربية استوطنت جنوب لبنان، ثم ظهر المذهب الدرزى الشيعى فى القرن الحادى عشر الميلادى. أصبح لبنان جزءًا من الإمبراطورية العثمانية عام ١٥١٦م، وكان طوال هذه الفترة الخاضع فيها للحكم العثمانى يشكل مع سوريا وحدة سياسية وإدارية واحدة. احتلت فرنسا سوريا ولبنان ثم خضعا للانتداب الفرنسى عام ١٩٢٠م بعد قرار عصبة الأمم المتحدة. قامت فرنسا فى نفس العام بالفصل بين سوريا ذات الأغلبية المسلمة وبين لبنان ذى الأغلبية المسيحية من الموارنة وقتها. حصل لبنان على استقلاله الفعلى ١٩٤٣م قبل سوريا بثلاثة أعوام.

بعد هذا الاستقلال كان يمكن للبنان صاحب السبق فى الطباعة، المكتظ بالمفكرين والمبدعين، أن يصبح قبلة بلاد العرب الآسيوية ومضرب المثل فى التعايش والتسامح، لكن هذا لم يحدث!

فحين حدث ذلك الاستقلال، وعلى خلاف ما نقرأه عن تاريخ الطباعة والفكر، كانت هناك نيرانٌ تحت الرماد ولا ينقصها للاشتعال سوى بعض العواصف!

هذه النار كانت تاريخًا متراكمًا عبر عقودٍ مضت..

فانتقال الموارنة من شمال سوريا إلى جبل لبنان عام ٤٥١م إنما جاء فرارًا من مذابح مسيحية سورية ضد من أطلق عليهم (الهراطقة) من أتباع القديس مارو فهربوا إلى جبل لبنان!

وبحلول القرن التاسع عشر توزع سكان لبنان كالآتى (مسلمون سنة استوطنوا الساحل والبقاع وبعض مناطق الشمال، مسلمون شيعة استوطنوا جبل عامل وبلاد جبيل وبعض الجنوب، بينما تشارك الموارنة والدروز باقى مناطق لبنان).

من الأعوام ١٨٢٠م إلى ١٨٦٠م حدثت مجازر بين الدروز الإقطاعيين بجانب الحكام الأتراك ضد الموارنة والفلاحين من طوائف أخرى مسيحية ومسلمة.

وفى هذه العقود بدأت فرنسا وبريطانيا فى وضع أقدامهم فى (الملعب اللبنانى) حتى اليوم!

فقد نجحت فرنسا عام ١٨٦٠م فى فرض منطقة حكم ذاتى عن الحكم العثمانى فى جبل لبنان عرفت بـ(الدولة المتصرفية) التى كانت أشبه ما يكون بما حدث عصر الحملات الصليبية حين منحت بعض دول أوروبا حمايتها لطوائف معينة فى الشام للدفاع عن مصالح تلك الدول، وكما فعل الملك الفرنسى لويس التاسع بتوقيع صك حماية للموارنة!

ربطت فرنسا سكان هذه الدولة معها ثقافيًا بإرساليات التبشير البروتستانتى (المذهب المؤمن بالمسيحية الصهيونية!).

وفى هذا التوقيت ظهرت طائفة جديدة هى الطائفة الإنجيلية، كما نزح الأرمن فرارا من مذابح تركية واستوطنوا شمال بيروت وبعض نواحى البقاع. تصاعد نفوذ فرنسا حتى احتلت لبنان بعد الحرب العالمية الأولى.

وفى ١٩٢٠م قررت فرنسا توسيع دولة لبنان (المتصرفية المسيحية) فأعلنت ضم الساحل والبقاع وجبل عامل والسهول الشمالية إلى تلك الدويلة، وبذلك قامت دولة لبنان الكبيرة أو أصبح هناك لبنان بحدوده التى نعرفها تقريبا!

فى نفس التوقيت عمدت فرنسا إلى تنظيم عمليات تهجير واسعة للموارنة السوريين للبنان فى محاولة لجعل لبنان دولة مسيحية، لكنها لم تستطع استكمال خطتها لحصول لبنان على الاستقلال بعد عقدين!

> انتقال الموارنة من شمال سوريا إلى جبل لبنان عام ٤٥١م جاء فرارًا من مذابح مسيحية سورية ضد (الهراطقة)

لبنان.. خبثة الطوائف وليدًا.. وحدة المليشيا كبيرًا!

أى أنه وبعد أن أعلنت أوروبا علمانيتها وتمردها وكفرها ورفضها لأن يسير رجال الدين أمور السياسة فى دول أوروبا، وبعد أن حررت شعوبها من حقبة العصور الوسطى وانطلقت فى بناء دول عصرية قوية جدا، فقد قامت فرنسا بتنفيذ كل ما تخلصت منه فى أوروبا من مزاوجة السياسة والحكم من رجال الطوائف الدينية على أرض لبنان فى الفترة من ١٩٢٠م وحتى استقلال لبنان١٩٤٣م!

بعد حرب ١٩٤٨م نزح عشرات الآلاف من الفلسطينيين وأقاموا داخل مخيمات وأصبح وجودهم من أهم المفردات التى ستعصف بهذا الوطن!

كانت هذه بعض تراكمات مشتعلة تحت رماد واهٍ من قشرة وطنية سرعان ما سيتولى زعماء الطوائف الفتك بها!.

استقل لبنان عام ١٩٤٣م، وكان أمامه مفترق طرق، وكان أمامه فرصة ربما لن تتكرر لأن ينتقل وينقل معه الدول العربية المجاورة له إلى مرحلة حضارية تمثل قفزة للمستقبل الذى تراه الآن شعوب تلك المنطقة العربية وهما مستحيل الإدراك!.

مساحة صغيرة، وموارد اقتصادية يمكنها أن تمنح لشعبه رفاهية كبرى، مع مستوى يسبق الأقران من الفكر والثقافة والفنون، وكان تعدد الطوائف الدينية يمكن ترويضه لو صدقت النوايا، وكان يمكن جعل لبنان فاتيكان العرب بمسلميهم ومسيحييهم!

فما الذى حدث؟!

لقد كتب زعماء الطوائف الدينية فى لبنان الكلمة الأولى فى شهادة وفاته حتى قبل أن تكتمل ولادته أو استقلاله! فقد اجتمعوا بعد الاستقلال مباشرة وقرروا أن يكونوا هم ونفوذهم، وأن تكون طوائفهم الدينية ونفوذها ورواياتها فوق لبنان!

اختاروا التضحية بالوطن يوم استقلاله لصالح الطائفية الدينية فى بقعة من الأرض تحوى أكثر من ثمانى عشرة طائفة دينية، وبها معسكرات لاجئين من جنسية أخرى، وبها شرايين اتصال خارجية تربط تقريبا كل طائفة بقوى غير لبنانية؟!

أطلقوا طلقة الرصاص الأولى على فكرة الدولة الوطنية الواحدة ذات الشعب العربى الواحد متعدد العقائد الدينية! لقد خطوا الخطوة الأولى فى طريق التيه الطويل الذى وضعوا لبنان على بدايته ثم تركوه يكمله متخبطة أقدامه بين جثث أبنائه ودمائهم!

اختاروا ألا يكون هناك وطن، إنما غنيمة تقتسمها الطوائف الدينية! أن يكون رئيس الجمهورية مسيحيا مارونيا، ورئيس الحكومة مسلما سنيا، ورئيس مجلس النواب مسلما شيعيا، ويتم تقسيم مقاعد مجلس النواب إلى ٦٤ مقعدا لكل من المسلمين، والمسيحيين!

بناءً على هذا القرار بالتنازل عن الوطن والتضحية بفكرة الدولة الوطنية، فلقد أصبحت الأحزاب السياسية الكبرى مجرد تجمعات ومنظمات وكيانات طائفية مجردة مُنحت شرعية قانونية لممارسة السلطة والسياسة والحكم!

ولم يبق لتلك الأحزاب السياسية من مسمى الأحزاب غير أحرف اللغة المكونة للاسم! فكل من (التيار الوطنى الحر، القوات اللبنانية، الكتائب) هى أحزاب سياسية مسيحية! وحركة أمل وحزب الله — فيما بعد - حزبان مسلمان شيعيان! وتيار المستقبل هو الحزب السنى الأكبر! وتحول زعماء الطوائف بعد هذا الاتفاق إلى رجال وزعماء سياسة!

وحين يُمنح رجال الدين أو زعماء الطوائف الدينية صلاحيات سياسية ومناصب سياسية تسقط الأوطان اليوم أو غدا! مسلمة تاريخية لم تسقط أبدا!

أطلقوا على اتفاقهم هذا (الميثاق الوطنى)، وينص الدستور على أنه لا شرعية لمن لا يلتزم بالميثاق الوطنى! ولا أدرى كيف تجرأوا على الوطن بأن منحوا هذا الوصف (الوطنى) لأسوأ قرار يمكن أن يتخذه أبناء وطن ما تجاه هذا الوطن! قرار إسقاط هذا الوطن وجعله وجعل الانتماء إليه فى مرتبة ثانية غير ذات معنى أو جدوى أو قيمة!

توهموا أن هذه الوحوش الكاسرة أو زعماء الطوائف يمكنها أن تقبل الترويض أو تقنع بما نص عليه هذا الاتفاق! فسرعان ما بدا هذا الاتفاق وكأنه ليس إلا خطوة أولى ستتلوها خطوات تصل بلبنان لأن يصبح كيانا لا يمكن أن نسميه وطنا! أصبحت الطائفة الدينية هى الوطن، وتحول لبنان إلى ما يشبه دويلات صغيرة لا تجمع بينها المكونات التى تجعل من بقعة ما من الأرض وطنا، من انتماء للأرض كلها وليس فقط تلك المنطقة التى تقطنها الطائفة، ومن تقديس الدفاع عنها، ومن تقديس مؤسسة عسكرية واحدة تجمع أبناء الوطن كلهم على هدف واحد وانتماء واحد!

توالت الخطوات أو لنقل الطعنات المصوبة لهذا الجسد الوليد من كل حدب وصوب، ومن كل العواصم وكل المجموعات التى تقطنه!

استباحه الجميع منذ خمسينات القرن الماضى واستباحوا أرضه ودماء أبنائه ومقدراتهم. لم يشعر أحد بأنه يرتكب خطيئة ما وهو يفعل ذلك، لسبب واحد أن أحدهم لما يتجرأ على لبنان إلا بمعونة ومساندة، بل واستدعاء إحدى الطوائف الدينية اللبنانية ذاتها لهذا أو ذاك!

تنازلوا عن وطنهم وأهانوه فاستحله الجميع! هذه هى الحقيقة المؤلمة التى يحاول التهرب من قولها كل الذين يبكون لبنان اليوم سواء من داخله أو خارجه! الكل يخجل من التفوه بالحقيقة!

فى عام ١٩٥٨م كانت الخطوة الثانية فيما يعرف بأزمة لبنان. موارنة موالون لفرنسا رفضوا مقاطعة دول العدوان الثلاثى على مصر، ومسلمون سنة رفضوا سياسة الموارنة. فى تلك الأزمة كان لبنان مهددا بحرب أهلية دينية بين المسلمين والمسيحيين حين رفض كميل شمعون الرئيس المارونى الموالى للغرب قطع علاقاته مع دول العدوان الثلاثى على مصر وانضم لحلف بغداد، بينما رفض موقفه رئيسُ الوزراء السنى رشيد كرامى. وحين أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا بمسمى الجمهورية العربية المتحدة طالب اللبنانيون المسلمون لبنان بالانضمام إليها بينما أراد المسيحيون الموارنة استمرار التحالف مع الغرب.

سقطت حكومة العراق المتحالفة مع الموارنة فنشبت اضطرابات مسلحة فى لبنان. طلب شمعون مساندة أمريكا فأرسلت ١٤ ألف جندى مارينز فيما يسمى بعملية الخفاش الأزرق باحتلال وتأمين مطار بيروت وميناء بيروت لتأمين الرئيس كميل شمعون، وانتهى الموقف بالاتفاق على دفعه للإقالة وانتخاب رئيس الجيش المسيحى فؤاد شهاب بدلا منه. بدأ تدخل اللاجئين الفلسطينيين فى المشهد بالانضمام ضد المارونيين.

ثم كانت الخطوة الثالثة أو أزمة ١٩٦٩م، وهى صدام مباشر بين الفلسطينيين واللبنانيين المسيحيين على خلفية قيام أبو على إياد بتنظيم عمليات مقاومة مسلحة تنطلق من مخيمات اللاجئين، ومحاولته بناء مقر لفتح، واعتراض الجيش اللبنانى. تبع ذلك صدامات مسلحة بين الطرفين وقامت فتح بعملية كبرى شمال لبنان بالسيطرة على مراكز شرطة والتحفظ على رجال شرطة. تبع ذلك مفاوضات فى القاهرة بين ياسر عرفات ومندوب لبنان، انتهت باتفاق ١٩٦٩م الذى نص على تقنين الوجود الفلسطينى المسلح فى لبنان داخل المخيمات، ووجود ممثلين لهم فى الأركان اللبنانية، وتسهيل التموين للفدائيين الفلسطينيين، والسماح لهم بالقيام بشن عمليات مسلحة ضد إسرائيل من داخل الأراضى اللبنانية!

كان هذا الاتفاق بمثابة الخطوة الثالثة فى طريق قتل لبنان كوطن أو دولة ذات سيادة، وكالعادة كان هناك من اللبنانيين من ساندوا الاتفاق، ولم يتم إلغاء الاتفاق إلا عام ١٩٨٧م فى ذروة الحرب الأهلية!

كانت هذه الخطوات وما سبقها من مقدمات منذ القرن التاسع عشر تقود إلى المصير القاتم المحتوم وهو الاقتتال الداخلى أو الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م وحتى عام ١٩٩٠م!

كانت الحرب الأهلية فى لبنان هى الفصل الأكثر قتامة، وكانت هى التوقيع النهائى على شهادة وفاة لبنان كوطن واحد لمواطنين عرب مختلفى الملل والنحل، وإعلان شهادة ميلاد مرحلة (الميليشيا فوق الوطن) أو (الميليشيا الوطن) بعد مرحلة (الطائفة فوق الوطن) أو (الطائفة الوطن)!

حين يُمنح رجال الدين أو زعماء الطوائف الدينية صلاحيات سياسية ومناصب سياسية تسقط الأوطان اليوم أو غدا! مسلمة تاريخية لم تسقط أبدا!

لبنان.. خنجر الطوائف وليدًا.. وهو يقسم الميليشيا كبيرًا!

بدأت الحرب الاهلية باشتباكات مسلحة بين الموارنة وبين الفلسطينيين على إثر محاولة فاشلة لاغتيال الزعيم المارونى بيار الجميل، تبعها القيام بمهاجمة حافلة ومقتل ٢٧ من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين!

بعد الشرارة الأولى انقلب المشهد إلى جنون كامل! لا يمكن للقارئ سوى أن يفقد عقله وهو يتابع تغير التحالفات بسرعة وغير منطقية..

الكل يحارب الكل! الكل ينصب الفخاخ للكل ويقوم بمجازر تشبه ما تقترفه الصهيونية اليوم، وبعض تفاصيل تلك المجازر فى خمسة عشر عامًا تفوق فى بشاعتها وخستها ما نعاصره الآن! مع الوضع فى الاعتبار أننا نتحدث عن مواطنين يحملون هوية وطن واحد!.

تدخلت إسرائيل وسوريا ونشبت انشقاقات داخلية داخل كل تحالف بين عشية وضحاها.. مع الشرارة الأولى حاربت سوريا بجانب الموارنة بجانب إسرائيل!.

تكونت ميليشيات عميلة لإسرائيل، وأخرى لسوريا.. مجازر كبرى يطالع تفاصيلها العالم كل صباح.. انشقاقات بين ميليشيات كل طائفة تتبعها مواجهات مسلحة بين أعضاء الطائفة الواحدة واقتراف مجازر جديدة!

انتهى المشهد بعدد ضحايا يفوق ١٢٠ ألفا، ووطن عبارة عن أشلاء، وأكثر من مليون نازح، وعشرات الآلاف من المشردين، وخروج منظمة التحرير من بيروت، وتدخل دول كبرى وإقليمية، واحتلال متكرر من إسرائيل، وظهور حزب الله منبثقا من حركة أمل الشيعية معتنقا مبادئ الثورة الإيرانية ومساندا من الحرس الثورى الإيرانى!.

انتهى الجميع إلى الموافقة على اتفاق الطائف عام ١٩٨٩م، بتقوية صلاحيات رئيس الوزراء السنى، وخروج منظمة التحرير من لبنان، وبقاء قوات سورية، ونزع سلاح الميليشيات ما عدا حزب الله، وبقاء النفوذ السورى والإيرانى!.

هذا ما بقى من لبنان! لا وطن.. الكل عب من دم لبنان، والكل استباح هذا الوطن!

والآن لا جيش وطنى، ولا دولة قوية قادرة على اتخاذ قرار. دولة تشاهد على شاشات التليفزيون إعلان الميليشيا الباقية وهى تعلن الحرب دون أن تستطيع هذه الدولة حتى أن تناقش هذه الميليشيا! وتتخلى حامية الميليشيا الرسمية عنها، وتتركها تواجه مع أشلاء لبنان مصيرهم إن لم تكن هى التى قدمت رأس هذه الميليشيا فى مساومات باتت مكشوفة! والميليشيا لا تأبه بوطن، ولا بأتباع الطوائف الأخرى! الميليشيا تفرض حربا على وطن دون أن تستشيره! وهى عاجزة حتى عن حماية نفسها وشرفها، فكيف نتوقع منها أن تأبه أو تفكر فى الدفاع عن مواطنين كانت منذ سنوات تستبيح دماءهم؟! الميليشيا مهما بلغت سطوتها فهى لن تقدر على أن تحل بديلا عن الجيوش الوطنية! هذه الحقيقة يدركها تماما من حتى يحاربون هذه الميليشيا لكنهم فرحون بوجودها لأنهم يدركون أنها ضمان انتصارهم وبقائهم فى هذه البقعة البائسة من العالم!

هل هناك أمل لخروج لبنان من مذبحه؟!

هناك أمل أو خيال يداعب السذج، وهو أن ينتفض أهل لبنان ويعترفوا بخطاياهم الكبرى فى حق هذا الوطن! لو صحت النوايا فلا مستحيل!

أن يغيروا معتقدهم وأن يضعوا دستورا جديدا لدولة وطنية خالص! دستورٌ يجعل من لبنان — لا الطوائف أو الميليشيا — قدس أقداسهم الأعظم!

أن يكفروا بزعماء الطوائف وميليشيات الطوائف وأن يصدروا حكما لا استئناف له بالإعدام لمعتقدهم الذى زاوج الدين بالسياسة بالدم؟

أن يكون لبنان وأرضه هو العقيدة التى يعتنقها الجميع!

أن يزيلوا من المشهد السياسى كل زعماء الطوائف وأن يربوا أبناءهم على دينٍ واحد هو لبنان!

فلتسقط أية معتقدات دينية تفرط فى شرق أمة أو وطن وتجعل منه سجادة حمراء بلون الدم تتبختر عليها زعامات دينية تحولت إلى ألف قيصر وألف كسرى وألف خليفة، وتدهسها بيادات الميليشيات التى تعجز ساعة الفصل عن حماية شرفها هى لا شرف الوطن!

إن أراد اللبنانيون جميعهم استرجاع هذا الوطن فلا طريق غير هذا! أن يغيروا الدستور وأن يسجنوا كل زعماء الطوائف أو يحكموا عليهم بالإعدام، وأن ينزعوا أسلحة كل الميليشيات!

وأن يقسموا قسما واحدا - على اختلاف مللهم وطوائفهم — بلبنان وللبنان!

وأن تسلم الميليشيا أسلحتها طائعة للدولة الوطنية وأن تستفيد تلك الدولة بمقاتلى الميليشيا بعد إعادة تأهيلهم عقائديا طبقا لعقيدة الوطن!

وأن يصلوا جميعا صلاة واحدة اسمها صلاة الاستغفار والندم والبكاء على ما فرطوا فيه عبر ما يقرب من ثمانية عقود!

أن يقفوا جميعا أمام مرآة واحدة ويسألوا ضمائرهم هذا السؤال...أى إلهٍ هذا الذى اعتقدنا أننا قمنا بالتقرب إليه بكل هذه الدماء الوطنية وكل هذا العار الوطنى وكل هذا الهتك لمعانى الوطن؟!

هو حلم أقرب للوهم! لكن هذا هو السبيل الوحيد للخروج وإن لم يقدروا عليه.. فإذن هناك طريق آخر حقنا للدماء، وهو استكمال السير فى طريق التيه لكن بشكلٍ واقعى، أن يتم الإعلان رسميا عن وفاة لبنان كوطن واحد موحد، وأن يتم تقسيمه جغرافيا وسياسيا كما تم تقسيمه طائفيا إلى عدة دويلات مستقلة، لكل طائفة دويلة حتى لو كانت كيلومتر مربع واحد يكون زعيم الطائفة رئيسا لطائفته يتولى معها اختيار اسم وعلم دولته ويكون جيشا طائفيا! تقسيم دولة معتصمة بحبل دولتها وتقدس أرضها جريمة كاملة، لكن تقسيم ما هو مقسمٌ بالفعل وبالدم قد يكون الحل الباقى الوحيد المتسق مع ما بقى من بقايا وطن! الجنون هو أن نتحدث اليوم عن عروبة لبنان وسلامة أراضيه، وأهله هم من كفروا بهذه العروبة وهذه السلامة، وهم من رفضوا أن يكون لبنان وطنا حقيقيا!

كلمة أخيرة!

يندهش كثيرون ممن لم يقرأوا تاريخ لبنان مما يروه كل يوم من هذا الانفصال بين الدولة وبين الميليشيا، ويتعجبون كيف لوطنٍ أن يحيا هكذا، ولا يكفون عن استصراخ دولٍ أخرى من أجل لبنان! قرأت كثيرا مما يكتبه الشباب ويعجبون له ويتساءلون كيف للشعب اللبنانى والدولة والجيش أن يرضوا بما يحدث؟ قرأت وأشفقت عليهم وأود أن أخبرهم بالسر، كلمات وصفحات التاريخ وحدها التى لديها الإجابة!

لو قرأوا لأدركوا أن الأولى هو استصراخ اللبنانيين أنفسهم داخل وخارج لبنان!

كلمتى الأخيرة للمصريين..

عليكم أن تقرأوا تاريخ الأوطان فى هذه المنطقة جيدا لكى تدركوا قيمة مصر! لكى ندرك جميعا قيمة ومعنى الدولة الوطنية التى يصطف جميع أبنائها مقدمين أرواحهم فداء لهذه الدولة.

يجب ألا نسمح لأى داع يرفع لواء طائفى أن يبث سمومه بيننا.

الوطن هو العقيدة التى يلتف حولها الجميع ولو سقط فلن يكون هناك موضع قدم حتى لممارسة طقوس الديانة!

هم يريدون لنا أن نسقط فى هذا الفخ منذ عقود وكلما ازداد تماسك هذا الوطن اشتدت رغبتهم وسقطت أقنعتهم! لا تفرطوا فى مصر!

إنهم يحلمون أن تتحول مصر إلى طوائف متناحرة! ألا تذكرون خبائثهم التى أرادوا جر مصر إليها حين رفعوا شعارات تدغدغ مشاعر الصغار من عينة إعادة هيكلة الأجهزة الأمنية؟!

ألا تذكرون ولعهم عبر العقود بوهم انشقاقات داخل المؤسسة العسكرية المصرية؟!

على المصريين الاعتصام بدولتهم ومؤسساتها الصلبة فهذه الدولة بكل مؤسساتها هى شرف الأمة المصرية. يقينى الذى لم يتزعزع ولو قيد شعرة أن هذا الوطن محفوظ ومحفوف برعاية الله وفطنة شعبه، لكننى أقدم فى هذا المقال نموذجا لما يريدونه لهذه الأمة المصرية، فاللهم قد بلغت اللهم فاشهد!.

الوطن هو العقيدة التى يلتف حولها الجميع
ولو سقط فلن يكون هناك موضع قدم حتى
لممارسة طقوس الديانة!

خالد حريب

بيروت.. من قلبى سلام

عندما نتكلم عن «حزب الله» فنحن نتكلم عن إيران بشكل غير مباشر، لذلك علينا، ونحن نتابع الحرب الدائرة الآن بين حزب الله وإسرائيل، أن نفتح عيوننا على العاصمة الإيرانية طهران لنعرف إلى أين ستتجه هذه الحرب، هل تذهب إلى تصعيد من «حزب الله» وأن نستعد لدفع الأثمان المطلوبة لهذه الحرب، أم تتجه إلى التهدئة وتفعيل السياسة بما يعنى ابتعاد «حزب الله» عن الحدود الإسرائيلية وإنقاذ ما تبقى من ترسانته العسكرية؟

المؤشرات التى تصلنا من طهران غامضة، فهى تلوك التصريح الذى ينجح إلى السلم ثم تنسفه فى تصريح آخر، وهو ما يعنى ارتباك «حزب الله» وتعثر خطواته فى وقت لا يجب فيه التعثر، معروف أن إسرائيل لا تحتاج إلى ذرائع كى تخوض حربًا هنا وتدير مصيبة هناك ولكنها تحتاج دائمًا إلى تجميل وجهها القبيح من خلال مبررات قد تنطلى على الرأى العام العالمى.

ومن تلك المبررات رفض «حزب الله» تنفيذ القرار الأممى ١٧٠١ الذى يقضى بضرورة ابتعاده عن الحدود الإسرائيلية وعبوره نحو شمال نهر الليطانى، وهنا مربط الفرس إذ تسعى إسرائيل إلى التوسع على حساب الأراضى اللبنانية لتنقل حدودها مع النهر وهنا تسقط حجتها التى تدعى فيها أنها تحارب بهدف تأمين حدودها الحالية وعودة مواطنيها المهجرين من شمال إسرائيل إلى بيوتهم.

لا نرى ضوء فى نهاية النفق، لأن الدائرة مغلقة إيران التى تزعم مساندتها لـ«حزب الله» قد تتخلى عنه فى أى لحظة، إذا ما ظهر لها وعد أمريكى فى السر أو فى العلن يرتبط إيجابيًا مع مشروعها النووى، و«حزب الله» الذى دفع الدماء النازفة من أجساد قياداته لا يحب السياسة لأنه يعرف أن السياسة مراوغة ومطاطة وأنها لن تعيد أمجاد الحزب فى الضاحية الجنوبية لذلك يمضى الحزب فى طريق الحرب معتمدًا على قوته الذاتية، يمضى وهو واثق أنه لن يخسر أكثر مما خسره فى الأيام الماضية، أما إسرائيل المدعومة أمريكيًا التى ترتبط مشاريع حروبها بمعتقدها اليمينى الذى يرى أن قتال العرب، أيًا أن كانت جنسيتهم فلسطينيًا أو لبنانيًا، لا فرق هذا القتال هو الطريق الوحيد لهذا اليمين المتطرف لكى يثبت شرعية وجوده فى حكم إسرائيل.

دع عنك المظاهرات شبه اليومية فى إسرائيل التى تطالب بوقف العدوان على غزة وعقد صفقة مع حماس، لأن أصوات البنادق دائمًا هى الحاكمة فى اتخاذ القرار، وسوف تخرج مظاهرات إسرائيلية جديدة تدعم بيروت وتطلب وقف إطلاق النار ولكن لن يستمع إليها أحد فى حكومة نتنياهو الذى أشعل الأرض فى الشرق الأوسط ويحاول بكل السبل تحويل الأمر إلى حرب إقليمية شاملة.

رسميًا أمريكا ترفض الحرب الشاملة وكذلك إيران لن تفعلها، ليتبقى فى المشهد بشكل عام دماء الضحايا والأرض المحروقة التى تنعى من عاش عليها، وتسير كل قوة قريبة أو بعيدة من الحدث نحو أجندتها التى ترى أنها تحقق مصالح أبناء شعبها، أما الجانب العربى وهو المفعول به دائما فهو لا حول له ولا قوة.

هى ورطة وقد حلت بالمنطقة، العدوان الإسرائيلى لا يحتاج إلى مبررات كما أسلفنا لأن إسرائيل لم تعرف حتى هذه اللحظة معنى كلمة السلام وهى كضيف ثقيل على منطقتنا العربية لا تعرف واجبات الضيف، لذلك نراها وقد احتلت نشرات الأخبار فى كل فضائيات العالم لتقدم نفسها كدولة حرب بامتياز.

نقترب الآن من عام كامل ونحن نشهد من اسرائيل الحجة تلو الأخرى بأن حروبها لا تستهدف الدول العربية وإنما حروبها موجه ضد منظمات وأحزاب وميليشيات تصفهم إسرائيل بأنهم إرهابيون، وتتعامى عن حقيقة علمية مؤكدة وهى أن أسوأ أنواع الإرهاب هو إرهاب الدولة، ولكن فيما يبدو أنها نسيت أنها عضو بالأمم المتحدة وعادت إلى طبيعتها الأولى كعصابة أو مجموعة عصابات تحالفت ضدنا.

«حزب الله» الذى دفع الدماء النازفة من أجساد قياداته لا يحب السياسة لأنه يعرف أن السياسة مراوغة ومطاطة

على سعدة

لبنان.. ومصيرها المجهول

بدأت مأساة لبنان منذ انتشرت داخلها المخيمات الفلسطينية كـ«عين الحلوة وبرج البراجنة والبص» وغيرها من المخيمات التى تحتوى على عشرات الألوف من المهاجرين وبالتدريج تحولت لمستعمرات فلسطينية على أرض لبنان.. توسعت وتوغلت ووصل بها الحال أن وزيرًا لبنانيًا تم أسره داخل مخيم فلسطينى إثر حادث تصادم سيارته والتف الفلسطينيون حوله ولولا التدخل السريع من الشرطة اللبنانية لحدثت أزمه كبرى.

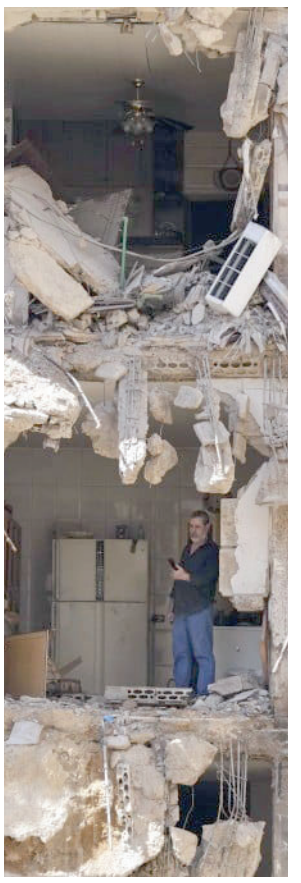

تلا ذلك نزوح السوريين بأعداد ضخمة إلى داخل لبنان وسط استياء شديد من أهل البلدة.. وبعد الأزمة السورية استوطن السوريون داخل ربوع لبنان دون نية العودة.

توقعت انهيار الدولة بعد الاحتلال الثالث للبنان وهو الاحتلال الإيرانى الكامل لجنوب لبنان عن طريق «حزب الله» الذى أصبح دولة داخل الدولة بل يمتلك جيشًا أقوى من جيش الدولة.. وبالفعل هذا ما حدث.. لتعيش لبنان سنواتها الأخيرة دون رئيس أو وزارة أو برلمان أو أى حياة سياسية.

وبدأ الانهيار الاقتصادى وتجمهر المواطنون حول البنوك والهجوم عليها لسحب نقودهم منها وانهارت الليرة وصار التعامل بالدولار.

فى الأيام الأخيرة بدأت الحرب الإسرائيلية ضد «حزب الله» بنية إنهاء أى خطر يعوق عودة سكان شمال إسرائيل إلى مستوطناتهم كما وعد نتنياهو شعبه بذلك.. ورأينا التصفية الجسدية لمعظم قادة وأفراد «حزب الله» حتى فى داخل بيروت تمهيدًا لاجتياح برى إسرائيلى لجنوب لبنان بعد غارات جوية مكثفة يوميًا على الجنوب.

إيران أوعزت لـ«حزب الله» أن يقوم برشقات صاروخية وطائرات مسيرة إيرانية الصنع لتجربتها فى الشمال الإسرائيلى، ولكن للأسف كلها باءت بالفشل الزريع.

وما زال الصمت الإيرانى يثير الدهشة والغضب.. والسؤال يدور فى مخيلة الكل: لبنان إلى أين؟

تعيش لبنان سنواتها الأخيرة دون رئيس أو وزارة أو برلمان أو أى حياة سياسية

محسن الفحام

التكنولوجيا القاتلة

فى الوقت الذى كنت أشارك فى إحدى الندوات لنقابة المهندسين عن العلم والتكنولوجيا وأثرها فى تطور المجتمعات، كانت إسرائيل تستهدف عناصر وقيادات من حزب الله اللبنانى باستخدام التكنولوجيا والهجمات السيبرانية من خلال تفجير أجهزة «البيجر» التى تستخدمها عناصر الحزب بدلًا من أجهزة اللا سلكى أو الهواتف المحمولة.. التى راح ضحيتها العديد من كوادر الحزب، ما يؤكد إننا دخلنا مرحلة جديدة أو عصرًا جديدًا من عصور الحروب التى تعتمد على التقنيات والتكنولوجيا الحديثة، خاصة أنها تحقق أهدافها بدقة كبيرة من خلال آليات التحكم عن بعد سواء عبر طائرات مسيرة لإصابة أهداف بعينها أو فى عمليات التجسس والاختراق والاغتيال لعناصر محددة كما تم فى عملية اغتيال الفلسطينى إسماعيل هنية فى إيرانا بالإضافة الى استخدام عدد من البرامج التى تعتمد على الذكاء الاصطناعى، حيث جاء العدوان الإسرائيلى الأخير على «حزب الله» ليؤكد مدى اعتمادها على هذا النوع من الحروب فى الوقت الحالى ،خاصة بعد أحداث السابع من أكتوبر الماضى فى أعقاب الهجوم الذى قامت به حركة «حماس» الذى دفع إسرائيل إلى اللجوء لاستخدام كل وسائل القتل حتى ولو كانت غير مشروعة، متذرعة فى ذلك بأنها تدافع عن أمنها وأمن شعبها.

لم تكن مذبحة «البيجر» هى المرة الأولى التى تستخدم فيها إسرائيل سلاح التكنولوجيا فى القيام بعمليات نوعية ضد «حزب الله»، فقد سبق لها استخدام هذا السلاح فى عمليات الاغتيال التى فقد فيها الحزب نحو ٤٠٠ من كوادره خلال الأشهر الماضية؛ على رأسهم القيادى فؤاد شكر، ما جعل الأمين العام للحزب حسن نصرالله يطلب من أعضاء الحزب وعائلاتهم التخلص من أجهزة الموبايل ونزع كاميرات المراقبة من شوارع الضاحية الجنوبية والتعامل بحذر مع شبكة الإنترنت بعد استخدام إسرائيل هذه الوسائل التكنولوجية فى اختراق قواعد الحزب واستهداف كوادره إلا أن ما حدث مؤخرًا شكل نقلة نوعية جديدة سببت أضرارًا أضخم وارتباكًا واسعًا داخل صفوف الحزب بل بين جميع أبناء الشعب اللبنانى، حيث أُصيب العديد من الأبرياء الموجودين فى الضاحية الجنوبية اللبنانية، كما تعرضت المنشآت والمنازل لخسائر كبيرة دون مراعاة لأى اعتبارات إنسانية عند قيام إسرائيل بتلك التفجيرات وعاش الشعب اللبنانى ساعات طويلة من الرعب والهلع خوفًا على حياته وبلاده.

لن نتحدث هنا أكثر من ذلك عن العدوان الإسرائيلى على لبنان من حيث أهدافه ودوافعه وكيفية تفجير أجهزة «البيجر»، فقد تناولت ذلك بالشرح والاستفاضة جميع وسائل الإعلام فى حينه، ولكننا نريد أن نتناول ذلك الاستخدام الخطير للتكنولوجيا الحديثة التى بدلًا من أن تُستخدم لنهوض البلاد ونموها ها هى تُستخدم لدمار البلاد وقتل الأبرياء وترويع البشر، حيث يمكن تدمير مناطق كاملة باستخدام التكنولوجيا القاتلة التى تقود صراعات وتنفذ مواجهات مسلحة دون المغامرة بجندى واحد، وهو ما يجعلنا أمام تحدٍ كبير فى ظل استخدام هذا الشكل الجديد من أدوات المعارك التى تم تحديثها على مدار السنوات الماضية، حتى باتت فى صورة جهاز يمكنه اختراقك وتحديد موقعك واستهدافك فى أقل من ثانية، مثلما حدث فى تفجيرات لبنان الأخيرة.

وتتخذ الحرب الإلكترونية أشكالًا عديدة وتطورات سريعة، فلم تقتصر على الطرود الخبيثة مثلًا بل توسعت قدراتها إلى أبعد من ذلك بكثير، بحيث أصبحت جزءًا من استراتيجية الأمن القومى فى العديد من الدول خاصة مع تأجج الصراعات الدولية وصعود قوى جديدة تسعى لفرض كلمتها على العالم دون الانغماس فى مستنقع الحرب المباشرة والقائمة على إرسال جنود فى مناطق الصراع فى ظل ما تحظى به أدوات الحرب السيبرانية من قدرات خارقة يمكن من خلالها تدمير مدن كاملة بما فيها ومن عليها.

لقد فرض الواقع الجديد لاستخدام التكنولوجيا لشن الحروب السيبرانية استحداث مصطلحات حربية جديدة تضاف إلى المصطلحات التقليدية، حيث أصبح هناك ما يسمى «سباق التسلح الإلكترونى» و«ساحات الحرب الإلكترونية» و«الجهاد الإلكترونى» و«الإرهاب الإلكترونى»، وجميعها أوصاف لعمليات تقوم بها دولة ما تستهدف إتلاف أجهزة كمبيوتر أو شبكات للإنترنت أو اختراق شبكات تواصل لدولة أخرى أو عمليات اغتيال لشخصيات محددة أو تفجيرات وتدمير لمواقع معينة أو منشآت استراتيجية أو حيوية، ومن الواضح أن الحروب الحالية بدأت تأخذ هذا الاتجاه، وهو ما نشاهده حاليًا فى العدوان الإسرائيلى على غزة وعلى الجنوب اللبنانى.. ويشير العديد من الأبحاث إلى أن تكاليف تطوير الأسلحة السيبرانية ليست مكلفة للغاية، وبالتالى فإن العديد من الدول تستطيع تحمل هذه التكاليف مقارنة بأسعار الأسلحة التقليدية كالطائرات والصواريخ.. إلخ، كما أن لديها قدرة عالية على التخريب بكلفة اقتصادية منخفضة نسبيًا للمهاجمين وكذلك فإن المسئولية السياسية عن تلك الهجمات تعتبر محدودة إلى حد ما، نظرًا لصعوبة إمكانية تحديد هوية من قام بالهجوم.. كما أن القانون الدولى لم يضع نصوصًا قاطعة لمواجهة العمليات السيبرانية العابرة للحدود حتى الآن، وهنا نجد أن الحروب السيبرانية تجمع بين القدرة التخريبية العالية والانتشار السريع بتكلفة اقتصادية وسياسية محدودة.

لقد بات جليًا أن اعتماد العالم أجمع على الإنترنت والتكنولوجيا من الممكن أن يقود إلى حروب مدمرة باستخدام جيوش حديثة منظومتها القتالية سيبرانية لتصبح ميدانًا جديدًا من ميادين الحروب، ومن هنا فقد بدأ العالم فى الانتباه إلى تلك الخطورة المتصاعدة، وبدأت قضايا الأمن السيبرانى تأخذ أهمية كبيرة فى المجتمع الدولى وأيضًا المجتمع العلمى الذى يدرس كيفية اتخاذ تدابير الحماية التكنولوجية والسياسية وتكريس سبل التعاون الدولى ضمانًا للأمن السيبرانى العالمى على اعتبار أنه رافد جديد يهدد الأمن القومى لدول العالم المختلفة.

> يمكن تدمير مناطق كاملة باستخدام التكنولوجيا القاتلة التى تقود صراعات وتنفذ مواجهات مسلحة دون المغامرة بجندى واحد

لقد أدرك الرئيس عبدالفتاح السيسى خطورة استخدام الحرب السيبرانية كسلاح قد يُستخدم ضد الأمن القومى المصرى فى أى وقت من الأوقات خاصة على ضوء تلك الصراعات التى تشهدها المنطقة المحيطة بنا من كل تجاه.. فكانت توجيهاته بضرورة العمل على حماية الأجهزة الإلكترونية والكمبيوتر وتطبيقات البرامج والأنظمة المهمة والبيانات من التهديدات الرقمية المحتملة، وهو ما جعل مصر تأتى فى الفئة الأولى بالمؤشر العالمى للأمن السيبرانى، وهو المؤشر المعنى لقياس مدى التزام الدول بمعايير الأمن السيبرانى، وجاءت مصر ضمن ١٢ دولة فقط نجحت فى تحقيق ١٠٠ نقطة من مجموع نقاط المؤشر.. وفى هذا الإطار شاهدنا الرئيس عبدالفتاح السيسى يفتتح مركز الحوسبة السحابية منذ أشهر قليلة وهو مركز على طراز فريد ومتقدم ويعد واحدًا من أكبر مراكز البيانات فى إفريقيا والشرق الأوسط.. كما أطلقت وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات مبادرة «مجتمع رقمى آمن» لتعليم أساسيات الأمن السيبرانى وتأهيل وتطوير المهارات الرقمية لعدد كبير من الشباب من مختلف المراحل العمرية.

ويبقى أخيرًا العمل على رفع الوعى المجتمعى المعلوماتى وتعزيز الثقافة الرقمية من خلال التعلم والتأهيل بهدف دعم وتنمية استخدام خدمات شبكة الإنترنت بأمان والتعرف على المجالات الحديثة وكيفية حماية البيانات الشخصية والخصوصية، وهو دور أتمنى من وسائل الإعلام المختلفة القيام به من خلال الخبراء المتخصصين فى هذا المجال حماية لنا ولوطننا الغالى العزيز.

حسين دعسة

إسرائيل واغتيال نصر الله

دخلت قوات «حزب الله» فى حالة من الاضطراب والتوتر، مع توسع التكهنات وأختلاق سيناريوهات لأسرار حول «مصير الأمين العام للحزب، السيد حسن نصر الله». وفى الجانب الآخر من الصورة، تبادلت الصحف والمؤسسات الإعلامية والأجهزة الأمنية، ومراكز الأبحاث، ترجيحات أن دولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية، ورئيس حكوماتها اليمنية المتطرفة، السفاح نتنياهو، أوهم المجتمع الدولى بأنه انتصر مبدئيًا على حزب الله، ويتأهب لإعلان الحرب الشاملة على إيران، لكن من داخل حقائق وأسرار «حارة حريك»، فى الضاحية الجنوبية، من العاصمة اللبنانية بيروت.

إسرائيل واغتيال نصر الله

ماذا قالت «النهار» البيروتية: حسن نصر الله.. شهيدًا أم حيًّا؟

ليلة الجمعة على يوم السبت، لم تذق بيروت، وكل لبنان طعم النوم، فى ذلك، أيضًا عاش المجتمع الدولى، ودول المنطقة والجوار الفلسطينى، حالة من فلتان النوم وتضارب التوقعات، فكانت خيارات صحيفة النهار البيروتية، مانشيت/ عنوان رئيسى: «حسن نصر الله ... شهيدًا أم حيًا؟ الضربة الإسرائيلية تستدرج الحرب».

فى ذلك كانت الصحيفة تستعيد تجارب مهنية سياسية وأمنية مرت بها لبنان وقت اغتيال عشرات الشخصيات السياسية الإعلامية والأمنية فى تاريخ لبنان، كان منهم الرئيس رفيق الحريرى، والرئيس بشير الجميل، وصولًا إلى اغتيالات الأسبوع الماضى، عشرات من قيادات حزب الله الكبار.

ما أكدت عليه الصحف اللبنانية، ذات الانشغال العالمى، النهار قالت: «لم يرتبط مصير الشرق الأوسط مرة بحسم مصير رجل كما حصل عقب الغارة الزلزالية التى شنتها دولة الاحتلال، إسرائيل عصر أمس على حارة حريك، العاملية»، مستهدفة اغتيال الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله.

وفق ساعة كتابة هذا المقال، حتى ساعات الفجر اليوم، وإلى الآن بالنسبة لى فى العاصمة الأردنية عمان، لم يكن مصير نصر الله قد عرف وسط ضخ هائل من المعلومات والمعلومات المتضاربة، أن فى الإعلام الإسرائيلى الذى جنح معظمه إلى ترجيح نجاح ضربة الاغتيال وأن فى الإعلام العربى واللبنانى والعالمى، علمًا بأن حجم الغارة الإسرائيلية على الحى السكنى الذى استهدفته دولة الاحتلال الإسرائيلى الصهيونى كان غير مسبوق لجهة استعمال قنابل خارقة للتحصينات، زنة القنبلة ألفى رطل، الأمر الذى أحدث زلزالًا أدى تسوية ستة مبانٍ بالأرض.

.. تنقلنا التحليلات إلى مستويات مختلفة، أغلبها سياسى أمنى، فيما أوردت «النهار» عدة قضايا، منها:

■ أولًا:

«مصير الأمين العام الثالث لـ(حزب الله)»

حتى فجر اليوم، ظل مصير الأمين العام الثالث لـ«حزب الله» الذى صار زعيمًا «تاريخيًا» للحزب منذ عام ١٩٩٢ معلقًا ومجهولًا، الأمر الذى أثار تساؤلات ومخاوف كبيرة حول إمكان أن تكون إسرائيل دفعت بالأمور الى متاهة تفجير ضخم لن تبقى رقعته محددة بلبنان بل ربما يتجاوزه الى المنطقة.

■ ثانيًا:

«المرحلة الأشد خطرًا من حقيقة الاغتيال»

مرت ساعات طويلة ولم يصدر عن «حزب الله» أى بيان يميط اللثام عن مصير زعيمه تصاعدت الترجيحات والمخاوف من أن يكون ذلك ناجمًا عن احتمال أن يكون مصير نصر الله قد صار فى المرحلة الأشد خطرًا من حقيقة الاغتيال. وعززت هذه المخاوف تصريحات قادة ومسئولين إيرانيين تحدثوا عن جريمة إسرائيل فى هجومها على الضاحية ولم يأتوا على ذكر نصر الله إطلاقًا.

■ ثالثًا:

«معالم استعدادات إيرانية لشىء ما كبير»

الأسوأ والأخطر، تقول النهار، إن إسرائيل رفعت الاستنفار الى أقصاه فى سائر أنحائها استعدادًا لهجوم كبير يشنه الحزب فى الساعات المقبلة، كما لاحت معالم استعدادات إيرانية لشىء ما كبير من خلال دعوة المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية إلى اجتماع طارئ لمجلس الأمن القومى. ثم جاء الكشف عن مقتل قائد كبير فى الحرس الثورى الإيرانى فى غارة الضاحية ليدفع بالغليان والترقب الثقيل وحبس الأنفاس إلى ذروته.

■ رابعًا:

«ضرب عمق الضاحية الجنوبية»

لعل الحشود الإسرائيلية على الحدود مع لبنان، التى تزايدت بقوة فى الساعات الأخيرة باستقدام لواءين إضافيين إلى الأولوية الموجودة؛ لم تكن وحدها كافية لرسم معالم اندفاع دولة الاحتلال الإسرائيلى الصهيونى، إسرائيل، نحو إحداث «التغيير الاستراتيجى فى الشرق الأوسط» كما سمته، فقامت بضربة هى الأخطر اطلاقًا بهدف مزدوج: اغتيال نصر الله بقرار متخذ سلفًا كان ينتظر اللحظة الاستخباراتية القاتلة، وعدم التردد عن ضرب عمق الضاحية الجنوبية، وزادت تصعيدها الهستيرى بتوجيه إنذار ليلًا إلى سكان وأهالى عدد من أحياء الضاحية لمغادرة منازلهم بزعم وجودهم قرب مصالح تابعة للحزب وشهدت المنطقة ليلًا موجة نزوح كثيفة.

■ خامسًا:

«قد تكون الحرب الشاملة أخطر ما فجرته إسرائيل»

من الواقعى الجزم بأن ما كان قبل ضربة الضاحية أمس لن يكون مثله بعدها، أيًا كان ما ستتكشف عنه التطورات والأنباء فى الساعات المقبلة؛ فإذا كان المحظور قد وقع فهو يعنى اغتيال أكبر رموز المقاومة وحزب الله ومحور الممانعة وأقوى حليف لإيران، وإذا كان نجا السيد فإن الأمر سيرتب تطورات خارقة أيضًا فى خطورتها. فى الحالين قد تكون الحرب الشاملة أخطر ما فجرته إسرائيل فى ضربتها للضاحية الجنوبية.

هل ينهار «حزب الله» إذا استُشهد نصر الله؟

.. فى المنطقة، قبل لبنان أو / وإيران، حتمًا المشهد الجيوسياسى الأمنى سيتغير وفق تحولات مضاربة المصالح، وهو مشهد أصلًا بأكمله مشتت ومرتهن لاعتبارات سياسية وعسكرية وأمنية، وهو ما سوف يتغيّر بشكل كبير.

السؤال الصعب، طرح فى كل، ومن كل المستويات:

هل ينهار «حزب الله» إذا استُشهد نصر الله أو أُصيب؟

.. عمليًا: أصبح مصير حسن نصر الله فى حكم الأسرار الكبرى، وهو ما اتفقت عليه اتجاهات سياسية وأمنية وعديد المؤسسات البحثية حول العالم، وفيها حيثيات مهمة، لكنها تتبادل الأماكن، والآراء، التى منها:

١: فيليب سميث

الخبير فى شئون الجماعات المسلحة الشيعية، فيليب سميث، قال: إن أى زعيم جديد يتعين، يجب أن يكون مقبولًا داخل الحزب فى لبنان وكذلك لدى داعميه فى إيران.

وأكد: أن هاشم صفى الدين، الذى يعتبر على نطاق واسع خليفة نصر الله، لا يزال على قيد الحياة بعد هجوم الجمعة.

وصفى الدين، الذى يشرف على الشئون السياسية لـ«حزب الله» وعضو فى مجلس الجهاد، هو أحد أقارب نصر الله.

وكشف «سميث» عن أن الصلة العائلية بين صفى الدين ونصر الله وكذلك التشابه بينهما، فضلًا عن مكانته الدينية كلها عوامل تصب فى مصلحته.

٢: مهند الحاج على

نائب مدير الأبحاث فى معهد كارنيجى الشرق الأوسط فى بيروت «مهند الحاج على»، قال: «المشهد بأكمله سوف يتغيّر بشكل كبير».

.. ووصف الحاج على، قيادة نصر الله بالقول: «كان مثل الغراء الذى حافظ على تماسك منظمة متوسعة».

كما أنه: «أصبح شخصية أسطورية، إلى حد ما، بالنسبة للشيعة اللبنانيين».

٣: لينا الخطيب

لينا الخطيب، الباحثة فى معهد تشاتام هاوس للسياسة فى لندن، أن من المؤكد: «لن ينهار حزب الله إذا قُتل نصر الله أو أصبح عاجزًا، لكن هذا سيكون ضربة قوية لمعنويات المجموعة. كما سيؤكد على تفوق إسرائيل الأمنى والعسكرى وقدرتها على الاختراق».

و.. وهى تلفت، بتحليل اكاديمى، معروف نسبيًا: التأثير المحتمل لمقتل نصر الله على القدرات العسكرية لحزب الله غير واضح أيضًا. فقد تبادلت إسرائيل و«حزب الله» إطلاق النار لمدة عام عبر الحدود

أى زعيم جديد يتعين، يجب أن يكون مقبولًا داخل الحزب فى لبنان وكذلك لدى داعميه فى إيران

إسرائيل واغتيال نصر الله

اللبنانية فى أسوأ صراع بينهما منذ عام ٢٠٠٦، والذى اندلعت شرارته فى أعقاب الحرب فى غزة.

.. وأشارت «الخطيب» إلى مسألة جد خطيرة:

إن «إسرائيل سترغب فى ترجمة هذا الضغط إلى وضع جديد يكون فيه شمالها آمنًا، لكن هذا لن يحدث بسرعة حتى لو تم القضاء على نصر الله».

٥: فواز جرجس

أستاذ العلاقات الدولية فى كلية لندن للاقتصاد «فواز جرجس»، يرى الحادثة، أيًا كانت نتائجها: «أعلنت إسرائيل الحرب؛ إنها حرب شاملة، وتستغل إسرائيل هذه الفرصة للقضاء على البنية القيادية وتدمير البنية التحتية لحزب الله».

وأضاف: «يكسرون قوة حزب الله. ليست هناك حاجة لقتل كل عضو فى حزب الله، ولكن إذا قمت بتدمير بنيته القتالية وأجبرته على الاستسلام، فإن ذلك يفقده مصداقيته».

اغتيال، أو إصابة الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله، سيوجه ضربة قوية لكل قوات وعلاقات وتنظيم الحزب، عدا عن خلق حالة من الفراغ السياسى الصادم، ذلك أن الحرب العدوانية الإسرائيلية على الجنوب اللبنانى، وكل لبنان، تتزامن، أو هى نتيجة إسناد، حزب الله المعركة حركة حماس فى قطاع غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، وهى التى انطلقت مع طوفان الأقصى فى السابع من أكتوبر الماضى.

.. وفى المؤشرات، برغم مخاوفها، أن مصادر مقربة من قوات «حزب الله» إن الأمين العام نصر الله لا يزال على قيد الحياة بعد الهجوم على الضاحية الجنوبية لبيروت.

وقال مسئول أمنى إيرانى كبير، حسبما أشارت صحيفة النهار، إن طهران تتحقق من وضع نصر الله.

خليفة نصر الله.. مَن سيكون؟.

تعيش دولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية ظرفية خاصة، مقترنة بالرعب الترقب، فالسفاح نتنياهو يتنقل بين عواصم العالم والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى، ينشر التضليل والتزييف والكذب، وفى ذات الوقت يرسم خطط شيطانية لجعل العالم ينهار وسط الحروب والجبهات التى تتكاثر، وهو يعتمد على الدعم والحماية من الإدارة الأمريكية والبنتاجون، ما جعل كل القناعات تتذبذب لدى المستوى السياسى فى المجتمع الدولى والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى، وحتى دول المنطقة، عدا عن الشارع الإسرائيلى، وكل حكومة التطرف اليمينية المتطرفة، التى أشبعها السفاح نتنياهو الأكاذيب، وأن واقع الحرب فى غزة والجنوب اللبنانى بيروت، نتيجة محور المقاومة والإسناد، الذى يكذب السفاح ليقول للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الاستعمارية إن حزب الله لن يوقف إطلاق النار قبل إنهاء الحرب على قطاع غزة، رغم تصاعد حجم العدوان على لبنان، وسط أوامره، لاغتيال الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، وهو الذى انقطعت معه سبل الاتصالات وغاب، دون أى كشف لأسرار الغياب، وطبيعة ما حدث.

والعودة إلى مسار الحرب التى تكرست مع الضربات الجوية بالسلاح الأمريكية، والصواريخ الثقيلة، فقد قدم المحلل لشئون الشرق الأوسط فى صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، «آفى يسسخاروف»، رؤية تقليدية لما كانت عليه الحرب منذ السابع من أكتوبر الماضى، وقال: إن الخيارات المتاحة أمام إسرائيل فى الواقع الحالى على الحدود الشمالية، تمامًا كما هو الحال فى قطاع غزة، وتتراوح بين السيئ الأسوأ، وأنه: «لا توجد بدائل أو حلول جيدة للمشكلة التى نشأت، عندما قرر الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، تحديد صلة واضحة ومباشرة بين الوضع فى ما يجرى فى غزة، وبين بدء جبهة مساندة من جنوب لبنان».

ما كتبه « يسسخاروف» نشر فى يديعوت أحرونوت، صباح أمس، ويبدو أنه وفر مناخًا وأمنيًا، التحريض على نصر الله قائلًا: «الطريقة الوحيدة التى قد تغير الوضع الحالى هى ضرب الرجل نفسه، الأمين العام لحزب الله، الرجل الذى يتمتع بمكانة نجم خارق بين الشيعة فى لبنان وبين الشيعة فى العالم».

المحلل العنصرى يحاول التلاعب المفردات والحقائق الأمنية والسياسية، على طريقة الإدارة الأمريكية فى دبلماسيتها التى عززت حرب الإبادة الجماعية والتهجير ومحاولات تصفية القضية الفلسطينية، فتنقل الصحيفة: «من المحتمل أن يؤدى التخلص منه إلى تمهيد الطريق لحل سريع نسبيًا. لكن حتى هنا يجب قول الحقيقة: لا يوجد حل سحرى. خليفة نصر الله المنتظر، هاشم صفى الدين، قد يتبين أنه أكثر تشددًا حتى من نصر الله. مثلما حدث فى حزب الله بعد أن اغتالت إسرائيل عباس الموسوى فى ١٩٩٢»

خطط جهنمية.. والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى فى غياب

عن مستقبل الحرب العدوانية على قطاع غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، قال المحلل لشئون الشرق الأوسط فى صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية «آفى يسسخاروف»، من واقع مرور الأحداث بين جبهات الإسناد ومحور المقاومة، فيكشف مخططات السفاح نتنياهو وحكومة التطرف التوراتية، والكابينيت، ولعل فى تحليله بعض التنبيهات: «لا ينبغى استبعاد احتمال أن يشن الجيش الإسرائيلى عملية واسعة النطاق فى مناطق مختلفة من قطاع غزة، لقيادة هروب جماعى للسكان من كل المناطق شمال وادى غزة، بما فى ذلك المدينة، نحو الجنوب، وبذلك إخلاء مساحة كبيرة ومأهولة من القطاع من السكان».

هذا المؤشر، أو التنبية، وجدت له مساحة من العنف والإبادة الجماعية، بعد ضربات سلاح الجو الصهيونى، فبعد قصف جيش الاحتلال الإسرائيلى قيادة مقر الشورى لحزب الله فى الضاحية الجنوبية لبيروت، حارة حريك، ومع تأكيدات تقع ضمن الحرب النفسية والتضليل الإعلامى الصهيونى، انشغل الإعلام الإسرائيلى فى بث عشرات التقارير بكل اللغات، عن وجود الأمين العام للحزب حسن نصر الله فى المكان، الذى ضربه سلاح الجو الصهيونى، ويبدو أن المنطقة كلها ستدخل فى صراع طويل الأمد، ولا يزال حزب الله يلتزم الصمت حيال الأنباء الإسرائيلية.

فى إيران، نفت وكالة تسنيم الإيرانية أن يكون تم اغتيال حسن نصر الله، وعمليات تعد الوكالة، من الإعلام التابع للحرس الثورى الإيرانى. وهى نقلت عن مستشار المرشد الخمينئى، ألمح إلى أنه قد يكون تم اغتيال نصر الله قائلًا إن كل قائد يستشهد له بديل.

تؤكد محاولة الاغتيال، كما قالت تحليلات موقع «السوسنة» الإعلامية الأردنية التى أضافت: لم يتم التأكد من نجاحها حتى الآن، رسالة واضحة أن دولة الاحتلال ماضية فى حربها الإقليمية، وأن أمد هذه الحرب ونتائجها لم يعد ممكنًا التكهن به. ورأى محللون أن جيش الاحتلال الآن أن يستعد لعدة سيناريوهات وتداعياتها، سواء أكانت دفاعية أم هجومية، كما أنه تم فتح الملاجئ فى عدد من مدن فلسطين المحتلة، وحسب الموقع، هنا السيناريوهات التى جاءت استباقًا لأى نتيجة تتعلق بقيادة حزب الله:

السيناريو الأول:

فى حال تأكد اغتيال نصر الله، يقوم حزب الله والحوثيون والفصائل فى العراق بهجوم واسع بالصواريخ والطائرات دون طيار على دولة الاحتلال الإسرائيلى.

السيناريو الثانى:

أن تشارك إيران نفسها فى الصراع مباشرة بشن ضربات من أراضيها، على الرغم من أن هذه الاحتمالية تعد منخفضة، وهى ما تحاول دولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية أن تحرض عليه.

السيناريو الثالث:

أن تستغل دولة الاحتلال الإسرائيلى الصهيونى هذه الجلبة التى أحدثها «تصورات» مصير، إصابة أو اغتيال نصر الله فى حال تم تأكيده وأن تخطو بريًا باتجاه لبنان لخلق منطقة عازلة، الأمر الذى سيطيل أمد الحرب وسيزيد مساحة الأراضى اللبنانية المحتلة.

.. وفى السياق، سياسيًا وأمنيًا وعسكريًا؛ هذه التوقعات/ السيناريوهات، تقع ضمن مخططات السفاح نتنياهو وهو يضعها ليجدد قدرته على الكذب والخداع، ويتيح للإدارة الأمريكية

> لا يوجد حل سحرى. خليفة نصر الله المنتظر، هاشم صفى الدين، قد يتبين أنه أكثر تشددًا حتى من نصر الله

إسرائيل واغتيال نصر الله (3)

والبنتاجون، التلاعب فى وقائع وشراسة الحرب، وما قد تؤدى إليه مع تنبيه أن المجتمع الدولى والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى، يترقب حالة من غياب المنطق عن ما قد يحدث من انفلات أزمات وحروب متباينة فى دول المنطقة.

خلخلة الحدود بين لبنان الجنوب، وشمال فلسطين

الترسانة العسكرية الإسرائيلية تدعمها منذ ما يقارب العام المصادر الأمريكية والأوروبية ومن صربيا وقبرص وغيرها، والصواريخ الموجهة نحو قادة حزب الله، تمادت فى حروب إبادة نالت من قيادات وأفراد فى «حزب الله»، إلى حد تغيرت قواعد الاشتباكات، وتخلخلت ضوابط الحدود بين لبنان الجنوب، وشمال فلسطين المحتلة، وهذا ما مهد لحرب رقمية دمرت أجهزة البيجر واللا سلكية وكل وسائل الاتصال، ما وضع حزب الله فى خانة ومصير حرج، ظهرت نتائجها الأمنية الخطيرة عبر طائرات f٣٥ والصواريخ المدمرة، ومختلف الأسلحة الجوية الإسرائيلية، التى وضعت عدة خطوط على حالة مقدرات قيادات بـ«حزب الله»، وكل فعاليات محور الإسناد ومحور المقاومة، والصدام الآتى مع محور «الممانعة» بكل ما فى أسرار غياب مصير السيد حسن نصر الله من ارتباك- قد يكون مؤقت وعابر فى تبادل القيادات والشئون التنظيمية والعسكرية والأمنية، والاجتماعية الناتجة عن حركة اللاجئين فى الداخل اللبنانى، وهذا يتزامن مع استمرار جيش الاحتلال الإسرائيلى فى الضربات والتى قد تتحول خلال أقل من ٤٨ ساعة إلى غزو برى، يطالب الجنوب اللبنانى وقرى ومقرات الحزب فى مناطق الليطانى والبقاع، وهناك تخوف من اقتحام المخيمات الفلسطينية فى الجنوب وفى البقاع ووسط بيروت.

الخبير العسكرى العميد اللبنانى سعيد قُزَح قال عن طبيعة الحدث عسكريًا وأمنيًا، حسبما نقلت «النهار»، وهى خلاصات خبرة، حددها:

■ أ: هناك ترجيحات ذات طابع عسكرى إسرائيلى فى أن لا يزال لدى «حزب الله» قدرة على تلقى الضربات وأن لديه الكثير من الانماط الهجومية ما يجعل المواجهات الناشبة على حالها الآن.

■ ب: هناك من يفسّر على مستوى مراقب متضلع من الترتيبات العسكرية التى تتخذ فى الفرق العسكرية النظامية ضمن الدول أو غير النظامية التابعة لميليشيات أو أحزاب، أنه عادة ما يكون هناك بدلاء عن الذين اغتيلوا، لذلك رغم قساوة الخسارة التى تعرض لها «حزب الله» فإنه سيضع بدلاء. وقد لا تستطيع إسرائيل معرفة من هم البدلاء عن الذين اغتيلوا بسهولة، فيما ثمة من لا يغفل أن مقتل قادة «حزب الله» الأساسيين فى المواجهات مع إسرائيل سببه الخطأ الذى ارتبكه «حزب الله» عند اشتراكه فى الحرب السورية فإذا به كشف أوراقه حينذاك.

■ ج: إن ما تقوم به إسرائيل من قصف لمختلف المراكز التى تشتبه فى أنها تستعمل كمنصات عسكرية خاصة بمقاتلى محور «الممانعة»، سيؤثر بطريقة ما على قدرات «حزب الله» دون أن يلغيها. فى المحصلة رغم خسائر «حزب الله» التى تفوق خسائر الجيش إسرائيلى، لكن خصوم محور «الممانعة» لا يستهينون فيما لا يزال لدى «حزب الله» من عتاد وعديد ومخزون كبير من الأسلحة التى يمكن أن يستخدمها، فيما إن مقياس التأثيرات الأكثر ضراوة التى يمكن أن يعانيها «حزب الله» سيحدد فى حال بقيت المعارك المشتعلة ناشبة فى أشهر لاحقة.

■ د: إن إسرائيل تعمل على استهداف قوة «حزب الله» البشرية والعسكرية واللوجستية والمالية وتجفيفها، حيث يتبلور استهدافها لقادة «حزب الله» العسكريين ضمن استراتيجية لضرب قوّة منظومة «حزب الله» والقوة المحركة لكل القطاعات داخله شمولًا فى قوته الهجومية وزعزعة عمل المسيرات الخاصة به وملاحقة قادته والرءوس المحركة على الأرض.

■ هـ: أن الارتباك حاضر عند أى اغتيال، لكن لدى «حزب الله» قدرات بشرية كبيرة مع تحضيره للبدلاء. عند مقتل أحد القياديين أو تحييده يمكن للبديل أن يتابع المعركة.

■ و: إن «حزب الله» هو حزب عقائدى عسكرى وكل مقاتليه هم من المدربين والقادرين على استلام مراكز قيادية، رغم أن طريقة العمل قد تتغيّر عند تغير القادة العسكريين لكن البديل حاضر دائمًا.

■ ز: إذا كانت إسرائيل تسعى لأن تقضى على القدرات القتالية لـ«حزب الله» لا بد لها من حرب الاستنزاف الحاصلة والحرب الجوية، والاستهدافات الخاصة بأشخاص ومراكز القيادة والسيطرة ومقرات مخازن الذخيرة ومنصات الصواريخ والأنفاق التى تعتقد إسرائيل أنها حاوية لصواريخ، فيما لا بد من متابعة إسرائيلية طويلة حتى تستطيع إضعاف قدرات «حزب الله» ذلك أنه لا يزال لديه حاليًا الكثير من القدرات.

ماذا عن استهداف إيران؟!

ركزت تحليلات الخبراء والصحافة الأمريكية الأوروبية على ما اصطلح بوصفه «غضب إيران»، فيما كان السفاح نتنياهو قد أعلن فى الأمم المتحدة عن أنه سيلاحق إيران ويحاربها، وفى وقت محدد جرت ضربات الضاحية الجنوبية، حارة حريك، وبردت سياسية إيرانية، تمت وفقما دعا إليه المرشد الأعلى الإيرانى آية الله على خامنئى إلى عقد اجتماع طارئ للمجلس الأعلى للأمن القومى، ردًا على التقارير التى تفيد بأن السيد نصر الله كان هدفًا للضربة، حسبما ذكره مسئولان إيرانيان مطلعان على الاجتماع.

رئيس المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى إبراهيم عزيزى، قال إن إسرائيل فتحت أبواب الجحيم ضد نفسها بضربتها لمقر حزب الله.

عزيزى أكد أن «محور المقاومة»، الميليشيا الإقليمية المدعومة من إيران، بما فى ذلك حزب الله، أصبح منسقًا ومسلحًا بشكل أفضل من أى وقت مضى و«سيرد بالقوة فى الوقت المناسب».

.. وفى المتاهة التى ضربت دول العالم، والمنطقة والخوف من حرب مختلفة، تزيد أزمات العالم واضطرابات جبهات المنطقة، كان وزير الخارجية الأمريكية أنتونى بلينكن، يعد بيانه أمام الإعلام فقال: إن إدارة بايدن تعتقد أن «الطريق إلى الأمام هو من خلال الدبلوماسية وليس الصراع». وأضاف: «قد يبدو الطريق إلى الدبلوماسية صعبًا فى هذه اللحظة، لكنه موجود». وأضاف أن المسئولين الأمريكيين ما زالوا يجمعون المعلومات حول الضربات الإسرائيلية فى بيروت.

ليس سرًا أن تمادى السفاح نتنياهو كشف عن حقيقة انقسام العالم بين دول قطبية ودول غنية، ودول ما زالت ضمن خانة العالم الثالث، ودول تخوض أزماتها ومعاركها وتخلفها الداخلى، ما يتيح لخطط الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الاستعمارية، التفوق والاستفراد، وفى ذلك، كل العوامل هيئة وتفيد بأن جبهات المعركة، والحرب على غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، مستمرة وقابلة لأن تمتد لسنوات، وهذا جنون دولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية، ومع يدعم ترسانتها، لهذا يحاول رئيس حكومة اليمين المتطرف الإسرائيلى السفاح نتنياهو تحريك جيوشه لاحتلال قسرى فى الجنوب اللبنانى، وصولًا إلى بيروت.

.. ومن ضروريات التنبيه الأمنى، الجيوسياسى فى الأزمة القادمة حول مصير حسن نصر الله، على دول الجوار الفلسطينى، والمنطقة والمجتمع الدولى، أن ينتبهون إلى أن السفاح نتنياهو «يقدم نفسه، وهو كاذب مضلل؛ كمدافع عن الغرب، وبعض دول المنطقة ضد المحور الإيرانى».

.. كل ذلك بالتنسيق والسكوت الغربى، الأمريكى، فبات كالثعبان، يحاول الالتفاف والتهريب على كل الدعوات الدولية والأممية لوقف إطلاق النار فى قطاع غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، وبالتالى منع أى تصعيد، أو امتداد الساحات جبهات الحرب.

.. ننتظر، فقد تاهت بوصلات العالم، وحروب الإبادة تنتشر.. لكن إلى متى؟!.

الترسانة العسكرية الإسرائيلية تدعمها منذ ما يقارب العام المصادر الأمريكية والأوروبية ومن صربيا وقبرص وغيرها

جلال حمام

العواقب غير المحسوبة للحرب فى لبنان

الغموض يلف الموقف الإيرانى من الأحداث الجارية فى المنطقة حاليًا.. رد طهران على مقتل رئيس المكتب السياسى لحماس، إسماعيل هنية، على أرضها، وقت أن كان ضيفها، لم يتحقق حتى الآن.. يتعرض حزب الله فى لبنان لضربات قاسية من إسرئيل، أوقعت شهداء كثيرين ومصابين، ولم تحرك ساكنًا.. وعندما سُئل الرئيس الإيرانى الجديد، مسعود بزشكيان، فى مقابلة مع CNN، هل تنصح حزب الله بضبط النفس؟.. قال، إن الضربات الإسرائيلية المكثفة على حزب الله فى لبنان أزمة إنسانية، تخاطر بإشعال الصراع فى المنطقة، الخطر قائم، من أن تمتد نار الأحداث التى تجرى فى لبنان إلى المنطقة برمتها.. حزب الله يواجه دولة مسلحة بشكل جيد جدًا، ولديها إمكانية الوصول إلى أنظمة أسلحة تفوق بكثير أى شىء آخر.. ولا يجب أن نسمح بأن يصبح لبنان غزة أخرى على أيدى إسرائيل.

العواقب غير المحسوبة للحرب فى لبنان

وأردف الرئيس الإيرانى، الذى تحدث، بينما يجتمع زعماء العالم لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة، والتى من المتوقع أن يهيمن على جدول أعمالها، تصاعد الأعمال العدائية بين إسرائيل وحزب الله فى لبنان، قائلًا لا يستطيع حزب الله أن يفعل ذلك بمفرده.. لا يمكن لحزب الله أن يقف بمفرده أمام دولة تدافع عنها وتدعمها وتغذيها الدول الغربية والأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية.. وحذر من أن الأحداث قد تتحول إلى صراع إقليمى، والذى يمكن أن يكون خطرًا على مستقبل العالم وكوكب الأرض نفسه، لذلك يجب أن نمنع الأعمال الإجرامية المستمرة التى ترتكبها إسرائيل.

قال الرئيس الإيرانى ذلك، بينما يؤكد دبلوماسى غربى للكاتب باراك رافيد، فى وكالة أكسيوس، أن حزب الله حث إيران، فى الأيام الأخيرة، على شن هجوم ضد إسرائيل، مع تصاعد القتال بينه وبين الجيش الإسرائيلى بشكل كبير، لكن إيران امتنعت حتى الآن عن ذلك، لأن أى هجوم إيرانى مباشر على إسرائيل، من شأنه أن يؤدى إلى زعزعة استقرار المنطقة بشكل كبير، ومن المرجح أن يجر الولايات المتحدة إلى المزيد من القتال المكثف.. كل ما فعله المسئولون الإيرانيون أن أبلغوا نظراءهم فى حزب الله، أن التوقيت ليس مناسبًا لشن هجوم على إسرائيل، لأن الرئيس الإيرانى مسعود بزشكيان، موجود حاليًا فى نيويورك لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد قال إن إسرائيل هى الطرف الذى يسعى إلى حرب أوسع فى المنطقة، مؤكدًا أن إيران لا تريد الوقوع فى هذا الفخ.. فى وقت يقول فيه مسئول إسرائيلى كبير، إن توجيهات مجلس الوزراء الأمنى لقوات الجيش الإسرائيلية، هى تجنب الخطوات التى من شأنها أن تمنح إيران سببًا أو ذريعة للانضمام إلى القتال.. وهكذا، يقف حزب الله فى المنتصف.

لقد أدت الهجمات الإسرائيلية على لبنان، إلى مقتل المئات من الناس، كثير منهم من المدنيين، وإصابة الآلاف.. كما فر عشرات الآلاف من جنوب لبنان.. ونفذ الجيش الإسرائيلى غارات جوية مكثفة على الضاحية الجنوبية، وعلى بيروت، قال الجيش الإسرائيلى إنها قتلت رئيس قوة الصواريخ والقذائف فى حزب الله، إبراهيم قبيسى، وخمسة أشخاص آخرين فى الغارة.. بينما شهد أكثر من مليون شخص فى إسرائيل. من منطقة حيفا إلى الحدود مع لبنان. أوسع الهجمات الصاروخية والطائرات المُسيرة التى شنها حزب الله.. تم اعتراض معظمها، لكن العديد من الأشخاص أصيبوا.. تكبد حزب الله خسائر فادحة، حيث قُتل العديد من كبار قادته العسكريين، وتعرضت أنظمة اتصالاته للخطر.. وزعمت إسرائيل أنها دمرت جزءًا كبيرًا من ترسانة الصواريخ والقذائف التابعة للحزب، خلال الأيام القليلة الماضية.

أسفرت تلك الضربات عن مقتل عدد من قادة الصف الأول للحزب، وأهمهم إبراهيم عقيل وأحمد محمود وهبى، ما يضع حزب الله أمام تحدٍ جديد فى الحفاظ على قوته الأمنية والعسكرية.. وقد اعترف الحزب بمقتل عدد من قادته فى الضربة الأخيرة على الضاحية الجنوبية، إلا أن مسئولًا إسرائيليًا ذهب أبعد من ذلك، بكشفه لموقع «أكسيوس» أن الغارة الإسرائيلية قتلت عشرين قائدًا من قوة الرضوان التابعة لحزب الله، حيث كانوا يعقدون اجتماعًا سريًا، اعتبره الجيش الإسرائيلى فرصة نادرة، لاغتيال كامل قيادة قوة الرضوان.. وبدوره، نفذ حزب الله هجومًا بالصواريخ، استهدف مُجمعات صناعات عسكرية لشركة رافائيل، وقاعدة ومطار رامات ديفيد للمرة الثانية بعشرات الصواريخ، ما يُعد تطورًا فى عمليات الحزب ضد إسرائيل.. فهذه المرة الأولى التى يستهدف فيها الحزب هذه المناطق، منذ بدء المواجهات بين الجانبين فى الثامن من أكتوبر الماضى.

ومع ذلك، اعتبر تقرير لصحيفة التليجراف البريطانية، أن رد فعل حزب الله على أيام من الاستفزاز الإسرائيلى فاتر إلى حد كبير، حتى الآن، رغم أن الأمين العام للحزب، حسن نصر الله، كان قد حذر إسرائيل من أن أى ضربة على معقله فى الضاحية الجنوبية لبيروت، ستُواجه برشقات صاروخية تصل إلى تل أبيب.. إلا أن حزب الله ما زال مترددًا فى تصعيد الحرب، إذ إنه من الواضح أن إيران تكبح جماح الحزب، لذلك لم يستخدم حتى الآن صواريخه الأكثر تقدمًا ضد إسرائيل.. بينما يرى ضابط الاستخبارات الإسرائيلى السابق، دورون ماتزا، أن إسرائيل تتجنب الدخول فى حرب برية شاملة مع حزب الله، وتسعى بدلًا من ذلك إلى تعظيم الضغوط الداخلية والخارجية على الحزب، لإجباره على الدخول فى تسوية سياسية تعيده إلى ما وراء نهر الليطانى، وتجعله يتراجع عن مساندته لغزة.. وما العمليات العسكرية الإسرائيلية الأخيرة، بما فى ذلك عمليات البيجر واللاسلكى والاغتيالات فى الضاحية الجنوبية لبيروت، إلا ورقة، تهدف إلى خلق ارتباك وإحراج للحزب، ولم يكن هذا تمهيدًا لحملة برية، كما قال الضابط الإسرائيلى لصحيفة معاريف العبرية، الذى أوضح أن حزب الله يريد جر إسرائيل إلى حرب استنزاف.

ولا يعد استهداف إسرائيل لقيادات حزب الله بالأمر الجديد، فقد اغتالت إسرائيل، فى الثلاثين من يوليو الماضى، القيادى الكبير فى الحزب، فؤاد شكر، فضلًا عن اغتيال عدد من قيادات الحزب قبل سنوات، مثل عماد مغنية ومصطفى بدرالدين وحسان اللقيس وسمير القنطار وجهاد مغنية.. ورغم نجاح إسرائيل فى تنفيذ تلك الاغتيالات، إلا أن ذلك لم يؤدّ إلى إضعاف الحزب بشكل واضح على المدى الطويل.. ولعل ذلك يرجع فى الأساس إلى تمتع حزب الله بهيكل تنظيمى متماسك، يسمح له بالاستمرار، حتى فى حال فقدان بعض قياداته الرئيسية، فبمجرد اغتيال قائد، يتم ملء الفراغ بسرعة من خلال تعيين قيادة بديلة، فضلًا عن الدعم الإيرانى للحزب، سواء من الناحيتين العسكرية أو المالية.. فهذا الدعم يعزز من قدرة الحزب على الصمود أمام الضغوط الخارجية.

الوضع الميدانى يشير إلى أن المواجهة بين الطرفين باتت مفتوحة على كافة السيناريوهات.. وبينما تضع إسرائيل معادلة انسحاب حزب الله إلى ما وراء نهر الليطانى لإعادة نازحى الشمال إلى مساكنهم بأمان، يتمسك حزب الله بمعادلة عدم عودة سكان شمال إسرائيل قبل وقف العمليات العسكرية فى غزة.. وتطرح الغارات المكثفة على جنوب لبنان تساؤلات بشأن ما إذا كانت تمهد لاعتماد إسرائيل سياسة الأرض المحروقة، فى إطار تحضيرات محتملة لشن عملية اجتياح برى على البلدات الحدودية اللبنانية.. ويمثل التصعيد الإسرائيلى الحالى نقطة مفصلية فى الصراع بين حزب الله وإسرائيل، وفق ما يقوله الباحث السياسى نضال السبع، لافتًا إلى أن نشر وسائل الإعلام الإسرائيلية الخاضعة للرقابة العسكرية، أمس، صورًا للمنازل المدمرة والسكان المذعورين، بالإضافة إلى صور لجثث، بعد توسيع حزب الله لنطاق استهدافاته أمس الأول، ردًا على تفجيرات البيجر واللاسلكى واغتيالات قادته، يوحى بأن إسرائيل تمهد لشن غارات واسعة النطاق، قد تتجاوز جنوب لبنان إلى شماله، لا سيما مع استهدافها للمرة الأولى مناطق جديدة.

ما يمنع اعتماد إسرائيل سياسة الأرض المحروقة، تمهيدًا لاجتياح برى لجنوب لبنان، حتى الآن، هو قدرة حزب الله على استخدام الصواريخ الدقيقة وصواريخ الكورنيت من الجيل الثانى، التى يمكنها إصابة أهداف على مسافات بعيدة، مع أن إسرائيل تعمل على إضعاف قدرات حزب الله قبل الإقدام على ذلك، خصوصًا أن الجيش الإسرائيلى لا يزال قادرًا على تحقيق بعض أهدافه، من خلال القصف الجوى والعمليات الأمنية، أى الاغتيالات، ما يجعله يتردد فى تنفيذ توغل برى، نظرًا للمخاطر الكبيرة التى قد تترتب على ذلك.. قد

> الوضع الميدانى يشير إلى أن المواجهة بين الطرفين باتت مفتوحة على كافة السيناريوهات

العواقب غير المحسوبة للحرب فى لبنان

يحدث تصعيد فى القصف الجوى وتكثيف للعمليات السيبرانية والأمنية، وكذلك للحرب النفسية، وإذا لم تنجح هذه الوسائل فى تحقيق الأهداف الإسرائيلية، فقد يلجأ الجيش الإسرائيلى إلى شن حرب واسعة.. وحزب الله يتجنب، حتى الآن، أن يكون الطرف الذى يبادر إلى تلك الحرب، مع أن الوضع الحالى فى لبنان على حافة الهاوية.

فبعد أن كان حزب الله يتوقع خوض حرب إسناد قصيرة لا تتجاوز بضعة أسابيع، تشير التطورات الأخيرة إلى أن إسرائيل نجحت فى استدراجه إلى حرب استنزاف طويلة، تكشف خلالها الغارات الجوية على جنوب لبنان، وتستهدف قادته بعمليات اغتيال.. وقد باتت سياسة تبادل الرسائل بين إسرائيل وحزب الله واضحة، إذ بعد إعلان أمين عام الحزب، حسن نصر الله، فى خطابه الأخير، عن أن عمليات الحزب ستؤدى إلى تهجير مليون إسرائيلى، يبدو أن الجيش الإسرائيلى يرد باستراتيجية تهدف لتهجير مليون ونصف المليون لبنانى من الجنوب، دون أن تكون التصريحات الإسرائيلية الأخيرة، التى تُحمّل الحكومة اللبنانية مسئولية أعمال حزب الله، مقدمة لاستهداف منشآت حيوية، مثل المطار والمرفأ.

بالتزامن مع كل هذا، وصل الموفد الفرنسى، جان إيف لودريان، إلى لبنان، وربما يحمل معه رسائل تهديد من إسرائيل لإبعاد حزب الله عن الحدود الجنوبية، لمسافة تتراوح بين عشرة وخمسة عشرة كيلو مترًا، وهو مطلب تصر إسرائيل على تحقيقه، سواء عبر المفاوضات أو باستخدام القوة العسكرية.. وفى حال فشل مهمة لودريان، قد تتوسع إسرائيل فى ضرباتها، وتبدأ بالاجتياح البرى، مستغلة انشغال الولايات المتحدة بالانتخابات الرئاسية، ما يضع لبنان فى مرحلة صعبة خلال الأربعين يومًا المقبلة، خصوصًا أن وزير الدفاع الإسرائيلى، يوآف جالانت، أعلن عن تكثيف الهجمات فى لبنان، وقال «ستستمر العمليات حتى نحقق هدفنا، بإعادة سكان شمال إسرائيل إلى منازلهم بأمان».

أمام القصف الإسرائيلى العنيف لحزب الله، فى كل أنحاء لبنان.. يتوقع محللون عسكريون أن يستلهم حزب الله أفكار قوات الرئيس الروسى فلاديمير بوتين، ويستنسخ التكتيكات التى تستخدمها روسيا فى أوكرانيا، لإطلاق أسراب من الطائرات بدون طيار وهجمات صاروخية جماعية على الدفاعات الجوية الإسرائيلية، كما قالت صحيفة «وول ستريت جورنال»، لاستهداف قواعد عسكرية رئيسية وموانئ وشبكة الكهرباء فى إسرائيل.

وبعد أن شهد لبنان أعنف يوم فى تاريخه، بسبب الهجمات الإسرائيلية منذ عام ٢٠٠٦، التى أسفرت عن مقتل ما يزيد على ستمائة شخص، ودفعت الآلاف إلى الفرار بحثًا عن الأمان.. تتزايد التكهنات بأن إسرائيل تستعد لشن غزو برى لجنوب لبنان، لكن المحللين يقولون إن حزب الله أصبح قوة أكثر قوة وتطورًا منذ حربه الأخيرة ويمكنه الرد بقوة.. وإذا قررت الرد على إسرائيل، فإن المثال الروسى قد يكون مفيدًا.. وهذا ما يتفق معه آساف أوريون، العميد المتقاعد من الجيش الإسرائيلى، بقوله، «لن تكون هذه نزهة فى الحديقة.. لا توجد طريقة لتجنب تعرضنا للضرب»، ويُعتقد أن حزب الله يُخزن الصواريخ، حيث قال مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى تقرير صدر فى شهر مارس الماضى، إن الحزب ربما يمتلك ما بين مائة وعشرين ألفًا ومائتى ألف صاروخ، ولديه القدرة على ضرب أهداف فى عمق إسرائيل، بما فى ذلك الطرق والمواقع العسكرية والمطارات.. وقال مسروب كاسمجيان، الزميل فى قسم السياسة والدراسات الدولية فى جامعة لندن، إن «هذه الأنواع من الضربات تأتى كجزء من قصف صاروخى مطول، وأسراب طائرات بدون طيار محتملة، وهو ما قد يطغى على نظام القبة الحديدية الإسرائيلى، ويترك إسرائيل مفتوحة لبعض الضربات الحرجة فوق أراضيها.. الصراع سوف يخلُف ثمنًا باهظًا، ليس على لبنان فحسب، بل على إسرائيل أيضًا».

وفى ظل الحرب فى أوكرانيا، عليك بالبحث عما يمكن أن يُوجِع واشنطن فى الشرق الأوسط.. إذ يقول مسئولون أمريكيون وإسرائيليون لشبكة CNN، إن حزب الله قد يتمكن على الأرجح من اختراق دفاعات القبة الحديدية الجوية الإسرائيلية فى شمال البلاد، خصوصًا إذا شن هجومًا واسع النطاق باستخدام صواريخ موجهة بدقة.. وعلى نحو مماثل، هاجمت روسيا المدن والبنية الأساسية الأوكرانية بهجمات صاروخية وطائرات بدون طيار، وفى بعض الحالات تمكنت من التغلب على الدفاعات الجوية الأوكرانية.. إن حزب الله ربما تعلم دروسًا قيمة من العمل مع الجيش الروسى فى سوريا.. وفى تقرير صدر فى أغسطس الماضى، قال معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، «يبدو أن حزب الله تعلم الكثير من الجيش الروسى، بما فى ذلك القدرة على شن حرب مناورة هجومية».. وذكر التقرير أن الدعم لجماعات مثل حزب الله، يشكل جزءًا من استراتيجية الكرملين، لمواجهة القوة الأمريكية فى الشرق الأوسط، من خلال تعزيز خصوم الولايات المتحدة.. وهو ما قالت به الحكومة الأمريكية فى نوفمبر الماضى، إن مجموعة فاجنر الروسية، ربما تستعد لتزويد حزب الله بأنظمة الدفاع الجوى الروسية «بانتسير-١»، فى مؤشر آخر على تعزيز العلاقات بين حزب الله وروسيا.

تعتقد إسرائيل أن الهجوم الشرس سوف يجبر حزب الله على التنازل، ويجبر زعيم الحزب، حسن نصرالله، وحلفاءه وداعميه فى إيران، على دفع الثمن الباهظ للحرب، وأن يعترفوا بأن للمقاومة تبعات جسيمة للغاية.. يحتاج الساسة والجنرالات فى إسرائيل إلى النصر، فبعد ما يقرب من عام من الحرب أصبحت غزة مكانًا يصعب الخلاص منه، ولا يزال مقاتلو حماس يخرجون من الأنفاق ومن تحت الأنقاض لاستهداف الجنود الإسرائيليين، ولا يزالون يحتجزون رهائن إسرائيليين.. وعندما فاجأت حماس إسرائيل فى أكتوبر الماضى، لم يكن الإسرائيليون يرون حماس تهديدًا كبيرًا، وكانت لهذا عواقب وخيمة، أما فى لبنان، فالأمر مختلف، فقد كان الجيش الإسرائيلى وجهاز الاستخبارات، الموساد، يخططان للحرب ضد حزب الله، منذ أن انتهت الحرب الأخيرة إلى طريق مسدود عام ٢٠٠٦.

ويعتقد رئيس الوزراء الإسرائيلى، بنيامين نتنياهو، أن الهجوم الحالى يحرز تقدمًا كبيرًا نحو هدفه المعلن، المتمثل فى تغيير ميزان القوى، بحيث لا ترجح كفة حزب الله.. ويريد نتنياهو منع حزب الله من إطلاق الصواريخ عبر الحدود نحو إسرائيل، وفى الوقت نفسه، يقول الجيش الإسرائيلى إن الخطة تهدف إلى إجبار حزب الله على التراجع عن الحدود، وتدمير المنشآت العسكرية التى تهدد إسرائيل.. ويعيد الأسبوع الأخير فى لبنان إلى الأذهان مشهد الحرب فى غزة، فقد أصدرت إسرائيل تحذيرات للمدنيين. كما تفعل فى غزة. بالخروج من المناطق التى على وشك أن تتعرض للهجوم، وتلقى باللوم على حزب الله . كما تلوم حماس . على استخدام المدنيين كدروع بشرية.. ما دفع بعض المعارضين وكذلك أعداء إسرائيل، إلى الاعتقاد بأن التحذيرات كانت غامضة للغاية، ولم تمنح الأسر الوقت الكافى لإخلاء منازلهم، وتطالب قوانين الحرب بحماية المدنيين، وتحظر الاستخدام العشوائى وغير المتناسب للقوة.. وتصر إسرائيل على أن جيشها يراعى أخلاقيات الحرب ويحترم القواعد، ولكن حكومات كثيرة حول العالم أدانت سلوكها فى غزة، ومن شأن اندلاع حرب حدودية جديدة أوسع نطاقًا، أن تعمق الفجوة فى الجدل القائم حول سلوك إسرائيل.

> الحزب يمتلك ما بين مائة وعشرين ألفًا ومائتى ألف صاروخ ولديه القدرة على ضرب أهداف فى عمق إسرائيل، بما فى ذلك الطرق والمواقع العسكرية والمطارات

العواقب غير المحسوبة للحرب في لبنان

إذا نظرنا إلى تفجيرات أجهزة البيجر، فإن إسرائيل تقول إن الهجوم كان يستهدف عناصر حزب الله الذين تم تزويدهم بالأجهزة، لكنها لم تكن قادرة على معرفة مكان وجودهم عندما فعّلت تفجيرات الأجهزة، وهو ما أدى إلى إصابة وقتل مدنيين وأطفال فى المنازل والمحال التجارية وغيرها من الأماكن العامة، ويقول محامون بارزون، إن هذا يثبت أن إسرائيل كانت تستخدم القوة المميتة دون التمييز بين المقاتلين والمدنيين، وهو انتهاك لقواعد الحرب.

المتابع للتاريخ، يدرك أن القتال بين إسرائيل وحزب الله بدأ فى ثمانينيات القرن العشرين، ولكن الحرب الحدودية الحالية بدأت فى اليوم التالى لهجوم حماس على إسرائيل فى السابع من أكتوبر، عندما أمر حسن نصرالله رجاله ببدء قصف محدود، وشبه يومى تقريبًا، عبر الحدود لدعم حماس، وأدى ذلك إلى محاصرة القوات الإسرائيلية، وإجبار حوالى ستين ألف شخص فى المدن الحدودية على مغادرة منازلهم فى الجانب الإسرائيلى.

وبالنظر فى طبيعة الحروب السابقة لإسرائيل، فإن بعض الأصوات فى وسائل الإعلام الإسرائيلية، قارنت بين تأثير الضربات الجوية على قدرات حزب الله، وبين الحرب المفاجئة التى شنتها إسرائيل على مصر فى يونيو ١٩٦٧، وفى الأيام الستة التى تلت ذلك، هزمت إسرائيل مصر وسوريا والأردن، ورسم ذلك الانتصار شكل الصراع الحالى، حيث استولت إسرائيل على الضفة الغربية، بما فى ذلك القدس الشرقية، وقطاع غزة ومرتفعات الجولان.. ولكن هذه ليست مقارنة جيدة، فلبنان والحرب مع حزب الله، أمران مختلفان، لقد وجهت إسرائيل ضربات ثقيلة، ولكنها حتى الآن لم توقف قدرة حزب الله وعزيمته على استهداف إسرائيل.. كانت حروب إسرائيل السابقة مع حزب الله طاحنة واستنزافية، ولم تُسفر قط عن نصر حاسم لأى من الجانبين، وقد تسير هذه الحرب على نفس المنوال، مهما كانت نتائج الأسبوع الأخير مرضية لإسرائيل وأجهزة استخباراتها وجيشها.

يرتكز الهجوم الإسرائيلى على افتراض، أن حزب الله سوف ينهار فى لحظة ما، وينسحب من الحدود ويتوقف عن إطلاق النار على إسرائيل، ويعتقد أغلب المراقبين لحزب الله أنه لن يتوقف، باعتبار أن قتال إسرائيل هو السبب الرئيسى لوجود حزب الله.. وهذا يعنى أن إسرائيل، سوف تضطر إلى تصعيد الحرب إلى ما هو أبعد من ذلك، وإذا استمر حزب الله فى تهديد شمال إسرائيل، وجعله منطقة شديدة الخطورة على المدنيين الإسرائيليين، الذين قد لا يتمكنون من العودة إلى ديارهم، فسوف تضطر إسرائيل إلى اتخاذ قرار بشأن شن هجوم برى، ربما للسيطرة على الشريط الحدودى ليكون بمثابة منطقة عازلة.. وقد سبق لإسرائيل أن غزت لبنان.. ففى عام ١٩٨٢ اجتاحت قواتها بيروت فى محاولة لوقف الغارات الفلسطينية على إسرائيل، ولكنها اضطرت إلى التراجع بسبب الغضب الداخلى والخارجى.. فبعد أن سيطرت القوات الإسرائيلية على محيط بيروت ارتكب حلفاؤها مذبحة ضد المدنيين الفلسطينيين فى مخيمى صبرا وشاتيلا للاجئين فى بيروت.

حتى تسعينيات القرن العشرين، كانت إسرائيل لا تزال تحتل شريطًا واسعًا من الأراضى اللبنانية على طول الحدود، وكان الجنرالات الإسرائيليون اليوم ضباطًا شبابًا حينها، خاضوا معارك دامية ضد حزب الله، الذى كان يزداد قوة، وفى عام ٢٠٠٠ انسحب إيهود باراك، رئيس وزراء إسرائيل . آنذاك . ورئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى السابق، مما يسمى المنطقة الأمنية، واعتبر أن المواجهة لن تجعل إسرائيل أكثر أمنًا، بل تكلفها حياة عدد كبير من جنودها.. وفى عام ٢٠٠٦، أسفرت غارة شنها حزب الله عبر الحدود المتوترة عن مقتل وأسر جنود إسرائيليين، وبعد انتهاء الحرب، قال حسن نصرالله، إنه ما كان ليسمح بالغارة لو أدرك ما قد تفعله إسرائيل فى المقابل.

وقرر إيهود أولمرت، الذى كان . آنذاك . رئيسًا لوزراء إسرائيل، شن الحرب.. فى البداية كانت إسرائيل تأمل أن تعمل القوة الجوية على وقف الهجمات الصاروخية على إسرائيل، لكن عندما لم يحدث ذلك، انسحبت القوات البرية والدبابات، وخلفت وراءها كارثة بالنسبة للمدنيين اللبنانيين، ولكن حزب الله استمرّ فى إطلاق صواريخه على إسرائيل.. لذلك، يدرك قادة إسرائيل أن الحرب فى لبنان تشكل تحديًا عسكريًا أشد صعوبة من محاربة حماس فى غزة، إذ بدأ حزب الله فى وضع خططه منذ نهاية حرب عام ٢٠٠٦، وسيقاتل على أرضه فى جنوب لبنان، الذى يتمتع بتضاريس وعرة وجبلية، تناسب تكتيكات حرب العصابات.. وكما لم تتمكن إسرائيل من تدمير كل الأنفاق التى حفرتها حماس فى غزة، فقد أمضى حزب الله السنوات الثمانى عشرة الماضية، فى إعداد الأنفاق والمواقع فى الصخور، وفى المناطق الحدودية فى جنوب لبنان، وأصبح يمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة زودته بها إيران.. وعلى النقيض من حماس فى غزة، يمكن تزويده بالمزيد من السلاح برًا عبر سوريا.

ويقدر مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، وهو مركز أبحاث فى واشنطن العاصمة، أن حزب الله لديه نحو ثلاثين ألف مقاتل نشط وما يصل إلى عشرين ألف جندى احتياط، معظمهم مدربون كوحدات صغيرة متنقلة من المشاة، ويتمتع العديد من رجاله بخبرة قتالية اكتسبوها فى سوريا.. وتقول معظم التقديرات، إن حزب الله لديه ما بين مائة وعشرين ألف ومائتى ألف صاروخ وقذيفة، تتراوح ما بين الأسلحة غير الموجهة إلى الأسلحة الأبعد مدى، التى يمكن أن تضرب المدن الإسرائيلية.. وقد تراهن إسرائيل على أن حزب الله لن يستخدم كل هذه الأسلحة، خوفًا من أن تفعل القوات الجوية الإسرائيلية بلبنان ما فعلته بغزة، حيث حولت مدنًا بأكملها إلى أنقاض وقتلت عشرات آلاف المدنيين، وربما لا تريد إيران أن يكشف حزب الله عن الأسلحة التى ترغب فى الاحتفاظ بها، كضمان ضد أى هجوم إسرائيلى على المنشآت النووية الإيرانية، وهذا رهان آخر، إذ إن حزب الله قد يضطر إلى استخدام المزيد من ترسانته قبل أن تدمرها إسرائيل.

ومع استمرار الحرب فى غزة، وارتفاع مستويات العنف فى الضفة الغربية المحتلة، فسوف تضطر إسرائيل أيضًا إلى التفكير فى فتح جبهة ثالثة إذا غزت لبنان، فلدى إسرائيل جنود مجهزون، لكن وحدات الاحتياط التى توفر القدر الأكبر من القوة القتالية لإسرائيل، تشعر بالفعل بالتوتر بعد عام من الحرب.. ولا يريد حلفاء إسرائيل، بقيادة الولايات المتحدة، أن تصعد إسرائيل الحرب مع حزب الله، ولا يريدون لها أن تغزو لبنان، ويصرون على أن الدبلوماسية وحدها هى القادرة على جعل الحدود آمنة، بما يكفى للسماح للمدنيين بالعودة إلى منازلهم، وتوصل مبعوث أمريكى إلى اتفاق، يستند جزئيًا إلى قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ١٧٠١ الذى أنهى حرب عام ٢٠٠٦.. لكن أيدى الدبلوماسيين مُقيدة فى غياب وقف إطلاق النار فى غزة، إذ يقول نصرالله إن حزب الله لن يتوقف عن مهاجمة إسرائيل إلا عندما تتوقف حرب غزة، وفى الوقت الحالى لا حماس ولا الإسرائيليون على استعداد لتقديم التنازلات اللازمة، التى من شأنها أن تؤدى إلى اتفاق لوقف إطلاق النار فى غزة، وتبادل الرهائن الإسرائيليين بالسجناء الفلسطينيين.

وفى حين تستمر الغارات الجوية الإسرائيلية فى قصف لبنان، يواجه المدنيون الذين يكافحون بالفعل لتوفير احتياجات أسرهم مع وجود اقتصاد متهالك، آلامًا مروعة وعدم يقين من المستقبل.. ويعبر الخوف خطوط المواجهة، إذ يدرك الإسرائيليون أن حزب الله قد يلحق بهم أضرارًا أشد مما لحقت بهم خلال العام الماضى.. وتعتقد إسرائيل أن الوقت قد حان لكى تكون أكثر جرأة، وأن تُبعد حزب الله عن حدودها، ولكنها تواجه عدوًا عنيدًا ومسلحًا وغاضبًا، وهذه هى الأزمة الأكثر خطورة خلال عام طويل من الحرب، وفى الوقت الحالى لا شىء يمنعها من الانزلاق نحو الأسوأ.

حفظ الله مصر من كيد الكائدين.. آمين.

> لقد وجهت إسرائيل ضربات ثقيلة، ولكنها حتى الآن لم توقف قدرة حزب الله وعزيمته على استهداف إسرائيل

د. محمود خليل

عمرو بن معدى.. فارس «الردة والعودة»

نحن أمام رجل يمثل حالة استثنائية فى تاريخ المسلمين الأوائل الذين آمنوا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، رجل كان له تاريخه قبل الإسلام، وتاريخه بعد أن أسلم، رجل يقال إنه أسلم ثم ارتد ثم أسلم، فى قصة نادرة تثبت، بما لا يدع مجالًا للشك، كيف أعمل المسلمون الأوائل مبدأ «لا إكراه فى الدين»، رجل تشم وأنت تتبع رحلته رائحة فرسان العرب الأوائل، الذين مزجوا بين القوة والحكمة، ظهرت القوة فى المشاهد التى كان يرفع فيها سيفه دفاعًا عما يؤمن به، وظهرت الحكمة فى المواضع التى عبّر فيها عن نظرته للحياة بأبيات شعرية استطاعت أن تعبر القرون حتى وصلت إلينا وعاشت بيننا، رجل شاء الله أن يعيش أكثر من قرن، فمكث فوق ظهر الحياة أكثر من ١٠٠ سنة، فى بعض التقديرات.. إنه عمرو بن معدى كرب.

اختلف المؤرخون فى اسم هذا الفارس الكبير، فالبعض كتبه عمرو «بن معد يكرب»، والبعض كتبه «بن معدى كرب»، والثانى فى الأغلب هو الأصح، وكانت كنيته «أبا ثور»، وهو من «بنى زبيد» الذين عاشوا ببلدة اسمها «مذحج» باليمن، لذلك كان يلقب فى أحيان بـ«الزبيدى». شهرة «عمرو» كانت قديمة سبقت إسلامه بسنين، فقد كان معروفًا على مستوى الجزيرة العربية، بما اتصف به من شجاعة وقوة، جعلته يرتفع فى المقام إلى أن يصنف ضمن «أقوياء العرب»، الذين اشتهروا بالقوة والموهبة الشعرية الفذة، مثل عنترة بن شداد، ودريد بن الصمة، وتأبط شرًا، وغيرهم.

يصف «ابن كثير» صاحب البداية والنهاية «عمرو بن معدى» قائلًا: «أحد الفرسان المشاهير الأبطال والشجعان المذاكير». هذا الوصف صاحب عمرو بن معدى طيلة حياته، فمنذ شبابه ورجولته فى الجاهلية عاش فارسًا مغوارًا، وكان أشهر اسم بين قومه «بنو زبيد». يشير «محمود حسن أبوناجى» صاحب كتاب «شعراء العرب الفرسان فى الجاهلية وصدر الإسلام» إلى واقعة كانت سببًا فى شهرة «عمرو» فى الجاهلية تتعلق بحرب نشبت بين قومه «بنى زبيد» وخثعم، وتمكنت خثعم من قهر بنى زبيد فى أولها، فهرول إليهم «عمرو» ولقى أباه وهو فى طريقه فطلب منه النزول عن فرسه، ثم ركبه وانطلق كالسهم يشق صفوف «خثعم» ويكر عليهم حتى قلب وجه المعركة وركبها «بنو زبيد». ومنذ ذلك اليوم اشتهر هذا اليمنى الصنديد بـ«فارس بنى زبيد»، تمامًا مثلما كان عنترة فارس «عبس»، ودريد بن الصمة فارس «هوازن» وهكذا. لم يدرك بعض هؤلاء الفرسان الإسلام، مثل عنترة، لكن «دريد» عاصر النبى، صلى الله عليه وسلم، ولم يسلم، بل وشارك مشاركة معنوية فى معركة «حنين» التى خاضتها «هوازن» ضد النبى، بعد فتح مكة، أما «عمرو» فقد كانت له مع الإسلام قصة شديدة التعقيد، حيث قيل إنه أسلم، ثم ارتد، ثم أسلم من جديد، وحينًا حارب ضد المسلمين ثم معهم.

ما يقرب من ٢١ سنة كاملة كانت قد مرت على بعثة النبى، صلى الله عليه وسلم، مؤكد أن عمرو بن معدى كان يسمع فيها عن محمد ودعوته، شأنه فى ذلك شأن كبار أهل اليمن فى ذلك الحين، لكنه لم يفكر فى الإسلام إلا فى سنة ٩ هجرية أو سنة ١٠ كما يذهب «ابن كثير» فى «البداية والنهاية». وقد روى فى موضوع إسلامه رواية عجيبة، يذكر فيها «ابن كثير» أن «عمرو» كان يسمع مثل غيره من كبار أهل اليمن وزعمائها عن ظهور نبى فى مكة اسمه محمد، فذهب ذات يوم إلى قيس بن مكشوح المرادى، زعيم بنى زبيد، فقال له: «يا قيس إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلًا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال إنه نبى، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيًا كما تقول فإنه لن يخفى علينا إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه». رأى «عمرو» ينطق بالحكمة كما هو واضح، فقد أراد استكشاف أمر النبى فإن تيقن من نبوته تبعه، وإن كان غير ذلك أدرك أمره وحدد موقفه منه، وقد رفض «قيس» كلامه برمته، بل وسخر منه وسفهه، فما كان من «عمرو» – كما يحكى ابن كثير– إلا أن ذهب بمفرده إلى الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأسلم على يديه ثم عاد إلى قومه، وحين علم قيس بن مكشوح بالأمر أخذ يتوعده، وقال: «خالفنى وترك أمرى ورأيى»، وكتب «عمرو» فى الرد عليه شعرًا يتوعده فيه هو الآخر. وبالتواريخ نستطيع أن نقول إن عمرو أسلم قبل عدة شهور من وفاة النبى، صلى الله عليه وسلم، ويذهب المؤرخون إلى أنه ارتد عن الإسلام، بمجرد إعلان خبر وفاة الرسول، مع المرتدين من أهل اليمن تحت راية الأسود العنسى.

> يصفه «ابن كثير» قائلًا: «أحد الفرسان المشاهير الأبطال والشجعان المذاكير»

والأسود العنسى كما تعلم واحد ممن يصفهم المؤرخون بمُدّعى النبوة ممن ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبى، صلى الله عليه وسلم، وإن كان «العنسى» يختلف عنهم فى أن حركة تمرده بدأت أواخر عصر النبى، أى خلال الفترة التى أسلم فيها «عمرو بن معدى»، ويؤكد المؤرخون أنه ارتد عن الإسلام وانضم إلى حركة «العنسى»، ثم تاب الله عليه بعد ذلك وعاد إلى الدين، وأبلى بلاءً حسنًا فى سبيله. والأرجح أن مسألة إسلام ثم ارتداد ثم إسلام «عمرو بن معدى» من الروايات التى تستحق المراجعة، بل إن الحركة التى انضوى «عمرو» تحت لوائها، والمتمثلة فى حركة ارتداد الأسود العنسى عن الدين، بحاجة إلى إعادة نظر وتأمل هى الأخرى.

د. محمد عفيفى

السينما المصرية والعروبة «1-3»

تناولنا فى مقالات سابقة حالة الولع السينمائى بتاريخ مصر القديمة «الفرعونية» فى عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، وكيف كان ذلك انعكاسًا وتأثيرًا فى الوقت نفسه فى المد القومى المصرى فى أعقاب ثورة ١٩١٩، فضلًا عن اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون.

لكن ذلك الأمر لن يستمر كثيرًا، فمع نهايات الثلاثينيات، وسنوات الأربعينيات من القرن الماضى، تدخل مصر فى تحولات عميقة على المستوى السياسى والفكرى. ولا نبالغ إذا قلنا بتراجع النزعة القومية المصرية ذات البعد الفرعونى لصالح التيار السياسى القادم من الشرق: التيار العروبى.

وتعتبر دراسة المفكر الكبير محمد جابر الأنصارى من أهم الكتابات الكاشفة لهذه التحولات المهمة والخطيرة فى بنية السياسة والعقل المصرى، والسينما أيضًا. يرصد الأنصارى هذه التحولات تحت عنوان مهم ودال هو «تعريب مصر سياسيًا». وبالقطع المقصود هنا توجه مصر نحو النزعة العروبية، وليس تعريب مصر لغويًا؛ إذ تعربت مصر لغويًا فى القرون الأولى للحكم الإسلامى، وفى الحقيقة لم يكن هذا التعريب سهلًا أو هينًا، وإنما أخذت مصر وقتًا طويلًا حتى تتخلى عن لغتها الأصلية، لتصبح العربية هى لغة الحياة اليومية.

ولكن ما يرصده الأنصارى هو «تعريب مصر سياسيًا، وانتشار النزعة العروبية فيها». ولا يخفى على أحد أن حركة القومية العربية نشأت فى الأساس فى المشرق العربى، ولفترة طويلة كانت مصر غائبة بالفعل عن هذا الأمر. وربما يرجع ذلك إلى إحساس المصريين باختلافهم عن «جيرانهم العرب»، أو حتى ارتباط بعض التيارات الوطنية المصرية بالدولة العثمانية، وبالتالى الدعوة للرابطة العثمانية، أو صعود القومية المصرية مع ثورة ١٩١٩ وبناء المملكة الجديدة «المملكة المصرية».

لكن الأنصارى يشير إلى تحولات مهمة فى المشرق العربى، سواء خيبة أمل القوميين العرب إزاء سياسات الحلفاء التى حالت دون تحقيق الآمال فى تأسيس «الدولة العربية الموحدة»، أو ازدياد الخطر الصهيونى فى فلسطين. من هنا يرصد الأنصارى التحول إلى «ضم أكبر قوة إلى دار العرب الجديدة، بل جعلها، مصر، مركز الثقل فى هذه الدار، بعد أن كان الامتداد المكانى للفكر القومى العربى لا يتجاوز آسيا العربية». وصاحب ذلك عدة متغيرات فى مصر ساعدت فى عملية تعريب مصر سياسيًا، يأتى على رأسها بالقطع توقيع مصر معاهدة ١٩٣٦، مع إنجلترا، وما ترتب على ذلك من حرية أكبر لمصر فى سياستها الخارجية، وبالتالى التطلع إلى جيرانها، الذين سيصبحون بعد قليل «أشقاءها».

وفى الوقت نفسه تقريبًا كان تصاعد الأحداث فى فلسطين عاملًا مهمًا فى توجه مصر «العروبى»، وكما يقول الأنصارى: «كانت فلسطين هى العامل الحاسم الذى حول السياسيين المصريين نحو سياسة عربية شاملة.. إن الانفجار العربى فى فلسطين عام ١٩٣٦ شهد بذور آراء على ماهر، وربما كان هو رئيس الوزراء الأول الذى رأى جعل مصر بطلة العالم العربى».

رافق كل ذلك مجىء الملك الشاب فاروق الأول إلى حكم مصر فى عام ١٩٣٦، ومع إخفاق والده الملك السابق فؤاد الأول فى محاولة إحياء الخلافة، وتنصيب نفسه خليفة للمسلمين فى عشرينيات القرن الماضى، سيحاول مستشارو الملك الشاب الترويج لفكرة «فاروق الأول ملك العرب».

لسنا هنا فى مجال دراسة وتتبع دخول الفكر القومى العربى إلى مصر، فهناك العديد من الكتابات فى هذا الشأن، ربما يأتى على رأسها، فى رأينا، دراسة الأنصارى، والمصطلح الذى صكه: «تعريب مصر سياسيًا». لكن ما يهمنا هنا هو رصد أثر ذلك على اتجاهات السينما المصرية، والأهم هو دور السينما فى دعم هذا الاتجاه الجديد. بدايةً لا بد من النظر إلى الأفلام وغيرها من أدوات القوى الناعمة؛ الصحافة والكتب المصرية، على أنها تطور تقنى بالقطع، لكنها أيضًا بمثابة تطور تاريخى تصنع التاريخ وتتأثر به. من هنا لا بد من الأخذ فى الاعتبار تطور سوق الأفلام المصرية، وغيرها من أدوات القوى الناعمة، فى البلدان آنذاك، وأثر ذلك فى بروز النزعة العربية فى أفلام ذلك الزمان. ربما لم تتوافر لدينا إحصائيات عن توزيع الفيلم المصرى فى الأسواق العربية آنذاك، لكن هناك إشارات حول أهمية ذلك بالنسبة لصناعة السينما المصرية، لا سيما مع تحولها إلى سينما ناطقة، وبروز ظاهرة الفيلم الغنائى.

> أخذت مصر وقتًا طويلًا حتى تتخلى عن لغتها الأصلية لتصبح العربية هى لغة الحياة اليومية

حمدى البطران

نعيم الكتابة وعذابها

تنتابنى لحظات، ككاتب، لا كرجل مثقف، أفكر فيها بالعزوف عن الكتابة، أعزف عزوفًا تامًا عن الكتابة، خصوصًا، تلك الكتابات التى تبين مواطن الخلل فى المجالات كافة، وما يصادفنا فى الحياة من صعاب، ربما لا ينتبه إليها المسئولون.
ويراودنى هذا الإحساس أيضًا فى المجال الإبداعى، بعد أن كتبت الكثير من الروايات والقصص ونشرتها، وأصبحت أسأل نفسى ماذا أكتب؟ ولماذا أكتب؟ وما جدوى الكتابة؟

فى البداية أرى أن الكاتب يجب أن يكون حرًا، أو على الأقل عليه أن يسعى إلى أن يكون حرًا، وغير مقيد بقيود مجتمعية أو سياسية، ربما لأن الكتابة فعل تحررى، ينطلق منها الكاتب لفك قيود الرتابة المجتمعية، أن يكون حرًا فى اختيار المواد التى يكتب فيها والتعبير عنها بأسلوبه الخاص، الذى يفهمه مجتمعه والمحيطون به ومن يقرأون كتاباته، فى المقابل أن يحترم حرية المجتمع وقرائه ويحترم عاداتهم ومعتقداتهم.

ماذا أكتب؟ سؤال ربما راود الكثيرين، ممكن أصبحت هوايتهم الكتابة والورقة والقلم، ثم يتحول الأمر إلى نوع من الإدمان. وقد لا يستطيعون التخلص منه إلا بالكتاب فى الموضوعات التى تعجبهم، وهناك كتاب آخرون تكون الكتابة لديهم عبارة عن مهنة، وأقصد كتاب السيناريو والقصص والمسلسلات والأغانى وكتابة التعليقات والملخصات، والمقالات السياسية والصحفية فى الصحف. وهؤلاء يرون أن الكتابة ليست معضلة، وهى وسيلة وليست غاية، وسيلة لجلب الرزق والمال والجاه، وليست غاية لراحة الضمير، ويكتبون بغزارة ولا يهم رأى الآخرين أو نظرة النقاد والقراء، ولا يهمهم نظرة الناس إليهم.

الكاتب لا علاقة له بالتأثير الحاصل الذى تحدثه كتاباته، فى أى وقت من الأوقات، الكتابة بالنسبة إلى الكاتب شىء مصيرى وشخصى تمامًا. الكاتب لا ينتظر أن يرى آثار كتاباته على القراء أو فى المجتمع إنه يؤدى رسالته ككاتب لا أكثر.. يكتب الشعر لأن إحساسه وعقله يخبرانه بأن تلك هى الطريقة الوحيدة للتعبير عما يفكر فيه ويجول بخاطره أو خياله، وربنا كان البحار الذى كتب وصيته وهو على السفينة ووضعها فى زجاجة فارغة وأغلقها وألقاها فى البحر، يعتقد أن كتاباته ستحدث أثرها بلا محالة، حتى لو مات هو غرقًا فى السفينة، المهم أنه كتب ما يريد وأراح ضميره بما تحويه كتابته، عندما تضيق به السبل ويشعر بأنه مواجه الموت لا محالة.

ليس من السهولة أن ندعى أن الكتابة ليست ملء فراغ أو مجرد حاجة ما، أو أنها أمر غامض، اختص به الله الكتاب والمبدعين، ولا يعلمون أنها مثل أى فن أو حرفة تخضع لعوامل التعليم والثقافة والتدريب، لإتقان الحرفة أو المهنة، إنها تجربة المحاولة والخطأ، المهم أن يستفيد الكاتب من أخطائه ولا يكررها، ونرى أن الكتابة نوع من المغامرة بهدف اكتشاف دواخل ودهاليز النفس البشرية، كما أنها محاولة أيضًا لاكتشاف العالم بكل أبعاده الجغرافية والتاريخية، وتصبح للكاتب متع المكتشف، أو متعة مطابقة ما دار بخاطره وتفكيره وخيالة بالواقع المحيط به واتفق معه، وعبر عن دواخله، ودهاليز النفس البشرية بكل حالاتها، فى تأويلاته وأشعاره وقصصه ورواياته أو نصوصه المسرحية، وفى تأويله لشكل لذلك، بشكل بسيط وقابل للفهم والإدراك، لأنه ناتج عن عقل يتغذى بالقلق والهواجس والخيال، وهنا فضيلته الكبرى.

ما يفكر فيه الكتاب والمبدعون، هو أن الكتابة لم تعد من متطلبات القلق النفسى والعاطفى، أو تجارب للفاشلين فى الحب. لكنها أصبحت ضرورة قادتها مصادفات كثيفة، ضرورية وحتمية، حتى خرجت بصورتها التى عليها، وأصبحت أفعالًا وحوارات وكلمات، سواء استخدمت صفحات التواصل الاجتماعى، أم شاء حظها أن تظهر فى صورة كتاب جميل الكتابة والطباعة.

الآن أصبحت الكتابة أمرًا حتميًا، يدفع صاحب الفكر إلى تسجيل أفكاره، لتصبح إبداعًا فى أى جنس أو لون أدبى كتبها صاحبها، لطالما كان هاجس المبدع الرئيس هو أن يضيف لمعارف الآخرين من قرائه ما جال بخاطره وفكر فيه، المهم أن تكون تجربته واعية ومصقولة ومنقحة، وبها تصبح له شرعية الوجود بين المبدعين، وله اسم وشخصية أدبية لها حضورها فى عالم المبدعين.

الكتابة هى الحضور الشخصى والطاغى للكاتب. لأنه وحدة يملك القدرة على التعبير للوصول إلى عقلية القراء.

وهنا أستعيد قول الكاتب والمفكر والشاعر اللبنانى الراحل أمين الريحانى، عندما قال فى إحدى كتاباته: «سيدى، دعنى ألق على كتفك رأسى، فيذوب ثلج فتورى ويأسى، قربنى من فؤادك لأتزود من الحب الذى لا يعرفه أحد من عبادك، سيدى، اسقنى من الحرية والحق والإخاء ما لا يشوبه الخوف والرياء».

> ليس من السهولة أن ندعى أن الكتابة ليست ملء فراغ أو مجرد حاجة ما أو أنها أمر غامض

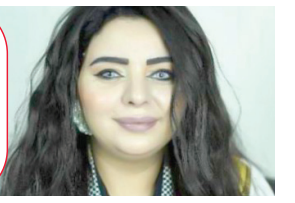

هند جاد

فى مرمى نيران متسولى التيك توك

فى البداية كنت أعتقد أن البرامج الحديثة والمتصدرة المشهد للتسلية والترفيه، وأن نشر فيديو لطيف لأشخاص أو للعائلة هو بمثابة ذكريات حلوة ومناسبات رائعة، وأن تجميع الصور على إحدى الأغانى الخاصة بالمناسبات، نوع من التواصل المجتمعى.
توالى من بعد ذلك ظهور نوع من الحروب من خلال بعض البرامج والتطبيقات جعلتنى اكتشفت أشياء أخرى.

لاحظت على التيك توك وجود مجموعة اسمها «الكتيبة» ومجموعة أخرى اسمها «٧٧٧». وهى أسماء نعلم جيدًا أنها إشارة إلى إحدى فرق الجيش القوية. وهو نوع من الاستغلال والاحتيال، خاصة عندما نرى المحتوى بما فيه من أقذر الألفاظ والانحطاط فى بث مباشر على التطبيق. كما تابعت خلال الأيام الماضية ما حدث من تلاسن بين بعض الأعضاء، وصل إلى تحرير بلاغات كاذبة يضيع فيها جهد ووقت الأجهزة الأمنية، تأتى على حساب البلاغات الحقيقية التى تحتاج لتلك الجهود لمنع حدوث جرائم حقيقية أو تتبع متهمين.

الغريب أن بعض وسائل الإعلام المرئى لبير السلم، بدأ يتعامل مع متصدرى تلك التطبيقات على أنهم نجوم المجتمع الجدد، وضيوف الفضائيات؛ لدرجة أن صدقوا أنفسهم، وبدأوا يتكلمون عن رحلات كفاحهم حتى وصولهم لتلك المكانة المرموقة فى المجتمع.

المبكى والمضحك، أن بعضهم بدأ بفتح اللايف للكلام المباشر مع الناس بعد أن وصلت شهرتهم إلى تلقيهم عروضًا للتمثيل ولتقديم برامج تليفزيونية وإذاعية. وهو ما يرفضونه لأنه سيؤثر على دخلهم المادى من المتابعين بالملايين بعد أن وجدوا لهم مظلة اجتماعية من خلال شراء السيارات الفارهة وفتح محلات البراندات وسلاسل السوبرماركت وشركات للتطوير العقارى. ويكفى أن نجد من استخدم اسم «٧٧٧» ليضعه على يافطة كافيه بالتجمع، ومن تتحدث عن أن تكلفة تجهيز الكافيه الخاص بها تجاوز الـ٥٠ مليون جنيه.

وكان بعضهم أكثر جرأة، حيث اقتحم عالم التمثيل ليتحول من بلوجر أو يوتيوبر إلى ممثل وفنان. وأزمة نقابة المهن التمثيلية مع أحد كبار منتجى سينما الشباك ليست ببعيدة بعد أن حاول أن يكون البوابة الذهبية لهم لدخول عالم سينما الشباك. ولا نزال ننتظر قرارات نقابة المهن التمثيلية لحسم تلك المشكلة التى تفاقمت منذ عدة أشهر بين فنانة وفنان؛ وصلت لرفع قضايا متبادلة.

لا يمكن أن يكون متسولو التيك توك هم القدوة والمثل لأطفالنا حتى لا تتحول التكنولوجيا إلى نقمة ووسيلة للانحراف

إنها صور من البلطجة الرقمية والتسول الديجيتال لجنى ملايين الجنيهات بلا أى مصدر واضح للحصول عليها أو حتى لصرفها. وما يحدث على التيك توك هو مؤشر خطير جدًا جدًا.. فى حركة غير طبيعية للأموال التى يمكن أن تستخدم فى أعمال مشبوهة إرهابية أو تجارة ممنوعة مما سيكون لها تهديد مباشر على أمننا القومى ومستقبل أطفالنا؛ باعتبارهم أكثر المتفاعلين مع تلك التطبيقات.

نقطة ومن أول الصبر

لا بد من التحرى الدقيق عن كل ما سبق، وتجريم من يخالف القانون وعقابه.. فلا يمكن أن يكون متسولو التيك توك هم القدوة والمثل لأطفالنا، حتى لا تتحول التكنولوجيا إلى نقمة ووسيلة للانحراف.

د. يوسف عامر

بعثنى مُعلِّمًا

فى استقبالِنا للعامِ الدراسىِّ الجديدِ نَودُّ أنْ نقفَ مع مرتكزٍ رئيسٍ فى العمليَّةِ التعليمية؛ مع المعلِّم، ولن نتحدثَ هنا عن شرف العلم والمعلِّم، ومنزلتهما فى الإسلام، وإن كان هذا كلامًا جليلًا ينبغى أن نتكلَّمَ فيه ونعيدَ الكلامَ ونكررَهُ،

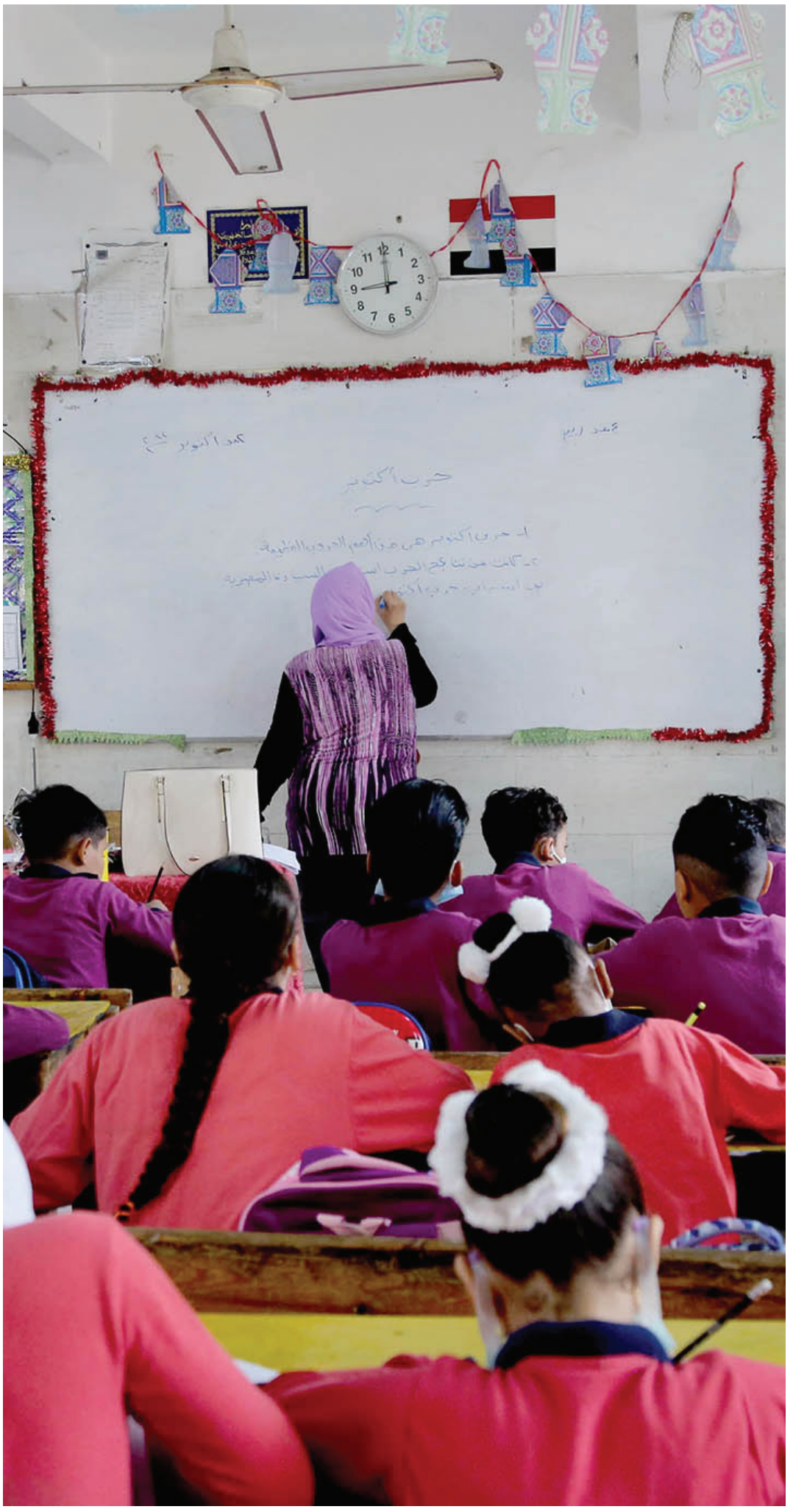

ولكننا سنقف عند ملمح آخر ينبغى أن ينتبه إليه المعلِّمون والمعلِّمات فى مَراحل التعليم المختلفة، ألَا وهو وراثتُهم لسيدِنا رسولِ الله، صلى الله عليه وسلم، فقد كان، صلى الله عليه وسلم، معلِّمًا بنصِّ القرآنِ الكريم والسُّنّة النبويةِ المطهرة، فقد دعا سيدنا الخليلُ إبراهيم، عليه السلام، أن يكونَ الرسولُ المبعوث فى مكة معلِّمًا: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: ١٢٩]، وقد استجابَ الله تعالى له، ووصف نبيَّه الخاتم الكريم بهذا فى غيرِ موضعٍ من كتابه، فقال سبحانه: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٥١]، وقال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤]، وقال عز وجل: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: ٢]، وهذه الآياتُ جميعًا نصَّتْ على أن سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يقوم بالتعليم.

> المعلِّم موصوف بالتيسير، وليس من شأنه أن يوقعَ مَن يُعلّمُهم فى مشقةٍ أو عناء

وقد أخبر سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بهذا عن نفسه، فقال، صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لَم يَبعثْنى مُعنِّتًا، ولا مُتعنِّتًا، ولكنْ بعثَنى مُعلِّمًا مُيسّرًا» [مسلم].

وليس يعنينا هنا أن نذكر السبب الذى من أجله قال صلى الله عليه وسلم هذا القول؛ لأنَّ القولَ صِيغَ صياغةً تدلُّ على أنه وَصفٌ ثابتٌ غير مقيّد بموقف معين، حيث جاء فى جملة اسمية مؤكَّدة بـ«إنَّ»، فجاء فى صورة حقيقة مؤكَّدة.

وقد بدأ القول الجليل بنفى وَصْفَى المعنِّت والمتعنت وكلاهما من مادة «عنت»، وهى مادّة تدل على مشقة، وبين الوصفين اختلاف فى المعنى بيَّنه السادة العلماء فقالوا فى معنى: «إن الله لَم يَبعثْنى مُعنِّتًا»: أى: موقعًا أحدًا فى أمر شديد ومشقة، «ولا مُتعنِّتًا»: أى: ولا أتطلّبُ زلةَ أحدٍ أو خطأه، فهو، صلى الله عليه وسلم، لا يوقع أحدًا فى مشقة، ولا يتلمس الأخطاء والزلات ويبحث عنها. وإنما هو كما وصف نفسه، صلى الله عليه وسلم، بقوله: «ولكنْ بعثَنى مُعلِّمًا مُيسّرًا».

وهذا يدل على أنَّ المعلِّم موصوف بالتيسير، وليس من شأنه أن يوقعَ مَن يُعلّمُهم فى مشقة أو عناء، ولا أنْ يتلمس أخطاءَهم، بل من شأنه التيسير؛ فكما أنه ييسرُ سبيلَ فَهم العلم، فكذلك ينبغى أن يكون التيسير خُلُقًا له فى شأنه كلِّه، وفى تعاملاته كلِّها.

إنها همسةٌ نبويةٌ كريمةٌ نسوقُها لإخواتنا وأخواتنا من المعلِّمين والمربِّينَ حتى تكتملَ لهم الوراثةُ الكريمةُ، بل هى وصيةٌ لكلِّ فردٍ من أفراد الأمّة، قال صلى الله عليه وسلم: «بشّرُوا ولا تُنفّرُوا، ويَسّرُوا ولا تُعسّروا» [مسلم].

إبراهيم داود

فانتازيا الوشاحى

الفنان الكبير الدكتور عبدالهادى الوشاحى «١١ نوفمبر ١٩٣٦/ ٢٦ أغسطس ٢٠١٣»، هو بلا شك واحد من أعظم النحاتين المصريين، ولم يسلط الضوء على منجزه كما ينبغى، ليس بسبب مؤامرة لا سمح الله، ولكن لأن المواهب الكبيرة لا تروق للموظفين، بعد رحيله بعام استضاف متحف محمد محمود خليل معرضًا استعاديًا له، كان حدثًا ثقافيًا كبيرًا رغم عدم اهتمام الإعلام به، وحاليًا وبعد عشر سنوات يقام له معرض فى جاليرى «فيلا زاد» تحت اسم «فانتازيا الوشاحى»، مستمر إلى يوم ١٠ أكتوبر المقبل، فى زحام الحياة أحيانًا ننسى بعض رموزنا الثقافية، ولكن تذكر «الوشاحى» أسعدنى جدًا هذه الأيام، ليس فقط بسبب منزلة الرجل الكبيرة كفنان تجاوزت شهرته المحلية إلى العالمية، ولكن لأنه كان صديقًا مبهجًا اقتربت منه سنوات طويلة فى سهراتنا فى وسط البلد أو فى الأتيليه الذى كان يعمل فيه فى «أرض اللواء».

الذين حالفهم الحظ وعرفوه عن قرب، يعرفون أنه كان محافظًا على الطفل الذى بداخله، يطل بكامل أناقته كل ليلة لينشر البهجة، كان شاربه الذى يشبه شارب سلفادور دالى علامة بصرية تميزه عن الآخرين، وصوته الحاسم الآمر وهو يتعامل مع سائقى التاكسى أو الجرسونات يشعرك بأنك أمام إمبراطور قادم من أزمنة قديمة، وسيعرف الذين لا يعرفونه أن الرجل لم يقصد إهانة أحد بعد ظهور ابتسامته الآسرة بعد ذلك، كان يقول دائمًا «أمارس النحت كمضاد حيوى لأحافظ على إنسانيتى».

رحل «الوشاحى» وترك أعماله شاهدة على نقاء الفن المصرى، تمثال طه حسين العبقرى نفذ رغم تعنت بيروقراطية وزارة الثقافة أيامها، ترك لمساته فى متحف الفن الحديث، والمتحف الحربى، والمركز الدولى للمؤتمرات، ودار الأوبرا، ومتحف دنشواى، ومترو الأنفاق، والأكاديمية المصرية فى روما، ومبنى جريدة الأهرام، ترك عنوانًا ناصعًا للفن المصرى فى متاحف إسبانيا وإيطاليا، أعماله كما قال الناقد الإسبانى راؤل شكارى فيرى تشكل بلاغة وعضوية ومعمارية كونية مثل أجزاء من النحت المصرى القديم، وأحيانًا تتسم بالدائرية فى تناغم وفخامة النحت الإغريقى، كان الوشاحى يعتبر أن من أسباب قلق وتوتر المصريين عدم وجود أعمال صرحية فنية حقيقية فى الميادين، ويقول إنه لو لم يمارس النحت لدخل النار، لأن الإبداع نعمة ومنحة من الله للبشر، وتفوق إنسانى يجب الحفاظ عليه، وأن العين يجب تدريبها على رؤية الأشياء الجميلة، الفنان الكبير تم تسجيل اسمه فى موسوعة كامبريدج كأحسن نحات دولى فى ٢٠٠١، كان عنوانًا للنقاء، وارتبط إبداعه بالحداثة، ودافع عن قضايا الحرية، كان صديقًا لتلاميذه، وضعيفًا تجاه الموهوبين، عاش مستقلًا كما أراد، كان يرى أن المثّال هو المالك الشرعى للفراغ بما يؤكد عظمة فن النحت ودوره كتشكيل فى الثقافة البصرية والارتقاء بالذوق والتذوق.. وأيضًا تخليد الرموز القومية.. إلا أنه وحتى الآن لم يأخذ حقه فى هذا الإطار، فليس هناك ميدان واحد فى القاهرة، بل وخارجها، يقف فيه أحد تماثيل الفنان الوشاحى.. هذا على الرغم من أن المثّال الكبير له ثلاثة تماثيل بإسبانيا يعتز بها شعبها، أولها النصب التذكارى «إلى الفلاح» بفالينسيا عام ١٩٦٩، وتمثالان آخران، أحدهما بالهيئة الأوليمبية الإسبانية بمدريد عام ١٩٧٥ والثانى تمثاله بنادى ريال مدريد بعد ذلك بعامين، سُئل مرة: لماذا اخترت طه حسين وتفرغت له لعمل تمثاله الذى صاحبته مشاكل كثيرة؟، أجاب: لأنه رمز للفكر المستنير، ورمز لحرية الإبداع.. عملته بحب، ومثلما يكون الفراغ له حضور ووجود يمثل طه حسين الحضور فى الحيزين المادى والمعنوى، ويمثل بالنسبة لى الخبرة الحياتية والثقافية، وقبل كل ذلك تلك اللحظة التى تجمع بين الوعى واللا وعى أو اللا شعور، والتى يظل فيها الباب مواربًا على حرية الإبداع. تمثاله لعميد الأدب تمثال استشراف غريب، بما يحمل من فكر، جسده جالسًا فى استطالة وشموخ بنظرة تأمل تطول رقبته يكاد يهم من فرط التطلع.

صبحى الشارونى قال إن «الوشاحى» يتجه إلى تحقيق نوع من التوازن المبهر للمشاهد فى تماثيله، فهو يتعمد أن يقيم أعماله على أساس «الهرم المقلوب» أو «المسلة المرتكزة على إبرتها» فيختار لتماثيله نقطة ارتكاز، ثم يبنى فوقها الشكل الذى تتسع قمته ويظل متوازنًا.. إنه يجتذب المشاهد عندما يجسد أمامه معجزة الاتزان، تمامًا كما يبهر لاعبو السيرك مشاهديهم بهذه المعجزة.. ألف رحمة ونور على روحه.

رحل «الوشاحى» وترك لمساته فى متحف الفن الحديث والمتحف الحربى والمركز الدولى للمؤتمرات ودار الأوبرا ومتحف دنشواى ومترو الأنفاق والأكاديمية المصرية فى روما ومبنى جريدة الأهرام

قصة زوجتى (The story of my wife)

نرمين يسر

فيلم رومانسى إنتاج مشترك، مجرى/ ألمانى/ فرنسى/ إيطالى لعام ٢٠٢١، من تأليف وإخراج إلديكو إينيدى المخرجة المجرية التى تعتبر من أبرز المخرجين ذوى الرؤى المختلفة فى أوروبا، بعد أن حازت على جائزة الدب الذهبى عن فيلمها «On Body and Soul»، وهى كذلك من أهم صانعى الأفلام فى أوروبا الشرقية. من أفلامها «قرنى العشرين، سيمون الساحر، عن الجسد والروح».

يستند الفيلم إلى رواية شهيرة باللغة الإنجليزية صدرت عام ١٩٤٢ تحمل نفس الاسم لميلان فوست. وأبطاله هم الممثلة الفرنسية «ليا سيدو» والممثل والراقص الهولندى «جايس نابر» والممثل الفرنسى والمصور السينمائى والمخرج «لويس جاريل» والممثلة السويسرية «لونا ويدلر». ولغة الفيلم هى الإنجليزية. ترشح الفيلم لجائزة السعفة الذهبية لمهرجان «كان» لعام ٢٠٢١، وفازت مخرجته بجائزة لجنة التحكيم لعام ٢٠٢١ كأفضل مخرجة، وفاز بطله «جايس نابر» بعدة جوائز كأفضل ممثل.

تدور الأحداث فى عشرينيات القرن العشرين فى باريس وهامبورج وفى البحر. الفيلم مقسم إلى سبعة فصول مثل الرواية. بعضها يبدو بلا نهاية، حيث يلعب قبطان البحر الهولندى «جاكوب ستور» وزوجته الفرنسية الجميلة المتقلبة «ليزى» لعبة القط والفأر والشك. لم يكن يعرفها عندما تقدم لخطبتها بشكل مفاجئ بعد نقاش فى مقهى مع شريكه فى العمل عن أن الزواج سيعالجه من بعض الأمراض الخاصة بالبحارة. صديقه هو «النجم الإيطالى سيرجيو روبينى، الذى تمت دبلجة صوته بالإنجليزية بطريقة مشتتة للانتباه لمن يعرفونه». تحداه أن يتزوج من أول امرأة تدخل من الباب. حينما دخلت ليزى أصيب بالذهول فقد بدت بالشكل الذى اعتقد الناس أنه يجب أن تبدو عليه المرأة المثالية فى عشرينيات القرن الماضى. لم يتردد وطلب يدها والمدهش أنها ردت على جنونه بجنون أشد ووافقت. فهى امرأة عصرية، ومستعدة لمغامرة جديدة فى حياتها. وتزوجا فى غضون أسبوع بسبب غيابه لعدة أشهر فى البحر. لم يكن بينهما التزام حقيقى، لكنهما زوجان وسيمان وجاذبيتهما الجسدية أفسحت المجال لمشاعر حقيقية، ما جعل زواجهما قابلًا للاستمرار.

كان أداء Naber ذا نغمة واحدة، ما عزز فكرة أن عمل جاكوب مرهق وليس به متعة، فهو يعرف كيفية التعامل مع حالات الطوارئ الكبرى فى البحر، لكنه يكون محرجًا وأقل جرأة وهو خارج روتين عمله على المركب. يبدو شخصية جادة ومنظمة لا تصدر منها أفكار غريبة.

المخرجة قامت بتعديل الرواية لتلائم الكلمات فريق عملها الأوروبى الذين لا يلمون بالفروق الدقيقة فى اللغة الإنجليزية، فكانت بعض الحوارات لا تبدو ذات مصداقية، لأنها تحاول تقليد كيف كان الناس يتحدثون فى العشرينيات فجاءت أغلب الحوارات كنوع من النثر المنمق كما فى الأدب الأوروبى. كما كان هناك تركيز من جانب الممثلين على كيفية نطق الكلمات بدلًا من التركيز على كيف يمكن للكلمات والوقفات والصمت أن تخلق ظلالًا مختلفة للمعنى.

كذلك فالفيلم طويل ١٦٩ دقيقة كلها جدية، ويفتقر لأى ملمح للسخرية، وهذا زاد من الشعور بطوله. لكن من الناحية الفنية هو فيلم مكتمل وجميل سواء من ناحية التصوير السينمائى، والأزياء والمكياج وتصفيف الشعر. كما بدت المقطوعات الكلاسيكية لآدم بالاس ملائمة لزمن الفيلم وكلاسيكيته.. تمنياتى لكم بمشاهدة ممتعة.

الفيلم مقسم إلى سبعة فصول مثل الرواية. بعضها يبدو بلا نهاية

عبدالرحيم طايع

أحزان الكاتب الفقير

الكرة تطعم لاعب الكرة والفن يطعم الفنان، ولكن الكتابة لا تطعم الكاتب، لا عوائد من كتبه المنشورة إلا القروش التى «لا تسمن ولا تغنى من جوع»، ولا أجور مجزية عن كتاباته الدورية للصحف والمواقع، يعيش فقيرًا ويموت فقيرًا، وبين المعيشة والموت تلازمه حسرة لا تزول مرارتها.

أتحدث عن الأكثرية من الكتاب الذين يصنعون الفارق فى الصحافة ومطبوعات الثقافة والأدب، الأكثرية حالهم هكذا، وليس شرطًا أن يكونوا كلهم من الشباب، بل أكثرهم جاوزوا سن الشباب إلى الكهولة والمشيب، ولا أقصد طبعًا أقلية من الكتاب أفلتت من المأساة، إما بسنوات كفاح شريف طويلة طويلة، وإما بوسائط وألاعيب وحظوظ لا قبل للآخرين بها.

تكون أحزان الكاتب أضعاف أحزان غيره بالبداهة؛ ذلك أنه يعبر، ضمن ما يعبر، عن ما يشعر به الناس فى محنهم وأزماتهم، فكيف إذا حلت به هو البلوى؟ وكيف إذا حاق بنفسه الضرر؟ والمصيبة أن أصداء ما يكتبونه تجعل لهم صيتًا فى الشارع؛ فيغفل الناس عن معاناتهم الشخصية، بل ربما كانوا أهدافًا للحسدة والحاقدين.

نادينا عشرات المرات بضرورة رعاية هؤلاء، والالتفات الجاد إليهم، هم صناع الأفكار التى من شأنها التغيير والتطوير، وهم المساهمون بآرائهم النيرة فى قضايا الرأى العام، وهم ناقلو آلام البسطاء وآمالهم إلى الحكومات وعلية القوم ليفعلوا ما يتوجب عليهم فعله بإزائها، وكم لهم من المزايا والأفضال التى تدفع دفعًا إلى الاهتمام بهم، والتعريف بحساسية أعمالهم ورفعة منازلهم.

العجيب أن المطبوعات الثقافية والأدبية نفسها، وهى أكبر مستفيد منهم، لا تقدرهم، والأكيد أن الصحافة غير المتخصصة ستكون أكثر من حيث عدم التقدير، مكافآت ضئيلة مخجلة، إن كانت موجودة أصلاً، وشح فى التكريم المعنوي، وكأن هذه المجلات والصحف أُنشئت لإشعارهم بالضياع، ولا يزيد حال المؤسسات المسئولة عنهم عن حال الإعلام المذكور قيد أنملة، حكومية كانت أو مستقلة، هو نفس القتل اللعين المستمر.

مرض كتاب كثيرون بالأمراض المزمنة، وتفاقمت الأمراض دون الحصول على الأدوية الضرورية، واستسلم آخرون لآلام الأمراض الخطيرة لأنهم لا يملكون ما ينفقونه على العلاج باهظ التكاليف، وفشل من فشلوا فى ستر بيوتهم وتزويج بناتهم وأولادهم، وربما إكمال تعليم البنات والأولاد من الأساس، وفى النهاية كتب الفقراء فى الفقراء المرثيات، ولم يسلم نفر من الأحياء ولا الأموات من الذل ولا الإهانة على العموم.

المطلوب فورًا هو الإسراع إلى إنشاء صندوق خاص وافر الثقل يخصهم وحدهم والإعلان عن تبرعات لاسمه

إلى متى هذا العبث المرير؟

أنا أعرض حال صفوة فى العقل والوجدان، ولا أحسب أن واحدًا من هؤلاء، لا سيما الموهبين الأفذاذ، يمكن أن يعوض خط يده معوض أيًا كان، والمطلوب فورًا هو الإسراع إلى إنشاء صندوق خاص وافر الثقل، يخصهم وحدهم، والإعلان عن تبرعات لاسمه، من القادرين والمصريين الواعين بالذات، والله يعين الذين يعينون المكافحين الجميلين الأجلاء.

محمد السيد صالح

«سيناء الخضراء».. والسم فى العسل

من المرجح وأنتم تقرأون هذه السطور اليوم فإنكم بشكل أو بآخر قد تكونون قد شاهدتم أو تصفحتم تقريرًا أو أكثر عن المشروع العجيب الذى يبشر به باحث هولندى حول سيناء. يتم الترويج للمشروع بشكل مريب فى مضمونه وتوقيته، بوسائل إعلام غير مصرية. يزعم صاحب دراسة المشروع أن بإمكانه تحويل شبه جزيرة سيناء، البالغ مساحتها نحو ٦١ ألف كيلومتر مربع، إلى جنة عدن خضراء.. مثلما كانت عليه من قبل. ولقد روجت التقارير الإعلامية لتسريبات من هذه الدراسة ونشرتها مع تصريحات من صاحبها وتعليق خبراء أجانب آخرين. كبريات الفضائيات العالمية مثل «سى إن إن» و«بى بى سى» وقناتى العربية والشرق، اهتمت بالدراسة.. والقائمة طالت بعد ذلك.

نظرت لهذه الدراسة من اليوم الأول بشىء من الريبة. بحثت عن تفاصيل إضافية بشأنها بعد أن شاهدت فى البداية تقريرًا مكثفًا وغنيًا بالمعلومات عن المشروع على فضائية الشرق الإخبارية السعودية، ثم نسيت الأمر، لكن عاد الإلحاح الشديد لعرض الدراسة والترويج لها.. حتى مساء أمس الأول الإثنين، حيث أكتب هذا المقال. ووجدت أن الدراسة صارت متداولة ورائجة حتى بين نشطاء الوسائط الاجتماعية، الذين تبهرهم العناوين البراقة، وغالبًا ما يسرقون المواد الإعلامية والمعلومات من بعضهم البعض. وربطت ذلك بالدعاية السياسية التى تروجها بعض العواصم والجهات الأجنبية لسيناء، وأن اقتطاع جزء منها يكفى لحل مشاكل إسرائيل مع قطاع غزة وسكانه الذين هم مصدر إزعاج دائم.

وبداية، فإن الباحث الهولندى «تييس فان دير هوفن» ينطلق من مشروعه الطموح لتحويل مساحة شاسعة من صحراء شبه جزيرة سيناء القاحلة إلى أرض خضراء غامرة بالحياة البرية، من خلال استخدام الرواسب المستخرجة من تطهير بحيرة البردويل للمساعدة فى إعادة تشجير المنطقة المحيطة.. ووفقًا لدراسته، فرغم أنها مالحة، لكنها تحتوى على الكثير من العناصر الغذائية والمعادن، والتى يحتاجها لبدء استعادة الأرض حيويتها. وأكد المهندس الهولندى فى دراسته أنه سيبدأ تنفيذ المشروع بالأراضى الرطبة المحيطة ببحيرة البردويل، وسيوسعها لجذب الطيور والأسماك، ثم سيذهب إلى أعلى جبال المنطقة، ويضع طبقات منها لإنشاء تربة، حيث يمكن زراعة أنواع مختلفة من النباتات المقاومة للملوحة بها.. وهذا من شأنه أن يساعد فى تنشيط التربة، مما يقلل من مستويات الملح ويجعل الأرض قادرة على دعم مجموعة أكبر من النباتات. وتتلخص الفكرة الأساسية، التى يطرحها، فى إضافة الغطاء النباتى إلى المناظر الطبيعية، مما يعنى المزيد من التبخر، ويشكل المزيد من السحب التى تؤدى لهطول المزيد من الأمطار. وقد يؤدى هذا إلى تغيير اتجاه الرياح، حيث يمكن أن يؤدى إضفاء الخضرة على المنطقة إلى إعادة تدفقات الهواء المحملة بالرطوبة.

كما تذكر التقارير المنقولة عن الدراسة أنه عندما قام المهندس الهولندى بمسح للتضاريس على تطبيق «جوجل إيرث»، رأى الخطوط العريضة لشبكة من الأنهار الجافة، أو كما تعرف بالوديان، وهى تتقاطع داخل سيناء مثل الأوعية الدموية، ما يشير إلى أن هذه الأرض كانت خضراء ذات يوم.

وينتهى الحلم الهولندى عند ميلاد حياة برية وغطاء نباتى غنى فى سيناء.. وأن ذلك سيحدث خلال سنوات معدودة!.

وعندما قلّبت فى هذه العناصر، ورغم أننى غير متخصص، وجدتها عناصر غير واقعية بالمرة. هناك تحذيرات متكررة بأن التلاعب بالطقس هو مدمر على المدى البعيد وآثاره الجانبية أخطر من فوائده. كما أن تطهير البحيرات الشمالية عملية معقدة ومكلفة للغاية.. وقد قرأت الكثير من الملاحظات العلمية حول تطهير بحيرتى المنزلة والبردويل بالتحديد، وأن بعض الخطوات التى تتم حاليًا من شأنها أن تؤثر سلبيًا على الأسماك فى البحيرتين.

وحاولت الحصول على ردود مقنعة حول المشروع، واكتشفت أن هناك صمتًا رسميًا، وكذلك من الإعلام المحلى، لا تعليق بالسلب أو بالإيجاب. لكننى عثرت على ضالتى من خلال مقالين عميقين نشرهما الدكتور إسماعيل عبدالجليل، الرئيس الأسبق لمركز بحوث الصحراء، على صفحته الشخصية، وكذلك على موقع بوابة الزراعة.. كما قرأت رأيًا علميًا آخر للأستاذ الدكتور عطية على عمر، الخبير بالمعهد القومى لعلوم البحار والمصايد.. وفهمت مما قرأت أن المشروع ملىء بالعوار العلمى، وعمره عشر سنوات.. وظهر أول مرة مع البدء فى تطوير وتطهير البحيرات الشمالية، لكن إعادة طرحه بهذه الكثافة فى هذا التوقيت لها أهداف سياسية واضحة.

أما فيما يتعلق باقتراح تعميق بحيرة البردويل «فإنه سوف يؤدى إلى تصحرها» وتدهورها تمامًا، نتيجة اختلال توازن البيئة البحرية بها.. حيث سيؤدى إلى انخفاض ملوحة مياهها إلى المستويات التى لا يعيش بها أفخر أسماكها التى نصدرها من الدنيس والقاروس، وهو ما يمثل خسارة اقتصادية عظيمة للبردويل يصعب استعواضها بعد تصحرها بالعمق الكبير. واختلال التوازن البيئى للبردويل سيكون لصالح القشريات والجمبرى الأقل قيمة اقتصادية من الدنيس والقاروس.

وتعميق لاجون البردويل سوف يحولها إلى بركة كغيرها بتكلفة باهظة سوف تهدر القيمة البيئية لكنوز الرواسب البحرية فى قاعها الضحل.

ليت هذه الدراسة تصل لاهتمام مسئولينا وإعلامنا.. هناك إصرار على طرحها بنفس العناوين البراقة والخادعة، وأنه فى الإمكان تحويل سيناء لجنة خضراء تجرى فيها الأنهار والجداول المائية.

المشروع ملىء بالعوار العلمى، وعمره عشر سنوات.. وظهر أول مرة مع البدء فى تطوير وتطهير البحيرات الشمالية

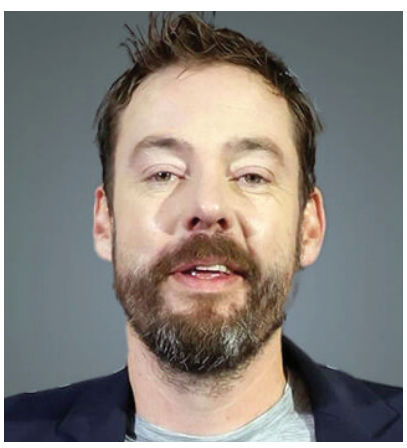

محمد العسيرى

يا مجاور ألف مدنة.. ورزقك بالحلال

كلما سافرت إلى الريف فى بحرى أو قبلى يحاوطنى فؤاد حداد.. دون أسباب معروفة.. عم فؤاد لم يذهب إلى الريف حتى من باب الزيارة.. هو ابن القاهرة المدينة.. أصوله من الشام.. فكيف اكتشف كنز هذه الأرض البراح وأدمن بساطتها وعمقها؟ كنت فى زيارة عمل لقريتين بمحافظة الشرقية.. التى لم أزرها منذ سنوات طويلة.. البيوت شبه بعضها.. الأسمنت المسلح زحف على الأخضر كما هو الحال فى معظم قرانا.. لكن روحًا طيبة تشع من الشوارع فتغمرك براحة وإنسانية أكلتها القاهرة منذ سنوات.. الأجساد متعبة نعم.. الأرواح مجهدة نعم.. لكنها تمتلك حكمة الفلاح القديم الذى أدرك أن الخالق يدبر الأمر.. الفلاحون فى غيطان الأرز يشبهون حبات الأرز.. الأحمر الذهبى يلون الخدود والأخضر يغسل العيون ويرسم ابتسامة مرحبة بالضيف.. كرم الشراقوة ليس مجرد حكاية حفظها تراثنا الشعبى.. مدن الدلتا مزدحمة عن آخرها.. التوك توك وطلعة أول يوم مدارس أضافا زحامًا وخنقة على الشوارع غير الواسعة لكنها زحمة محببة بسيطة طيبة مثل أهل البلاد.

الريف كما هو بكل ما فيه من طيبات.. وإن كان الكل يشكو من التكنولوجيا وبلاوى النت التى دخلت بالأهل الطيبين إلى مساحات لا يودونها.. موسيقى التوك توك والمهرجانات سرقت من الريف بعض روحه وأعطته أجراسًا معدنية مزعجة لا يزال الكبار يقاومونها.. حكى لى أحد المشايخ أنهم ولسنوات يتشاكلون ويمتعضون ويتعاركون فى الدرا.. الحيطان بتدارى.. والزعلان بيتصافى بقعدة عرب.. الآن الخناق على مواقع التواصل والردح على مواقع التواصل والغسيل الوسخ أمام كل خلق الله.. لا يستوعب الرجل الأمر من كل جوانبه.. يعترف بأنهم يحتاجون النت مثل غيرهم فى تسويق منتجاتهم.. ماشى.. لكنه يريد أن يتخلص من وجع الدماغ والفضائح وينتظر أن تمنعه الحكومة.. يريد خدمات البريد والبنوك وكل التكنولوجيا لكنه يخاف من أمراضها على أهل بيته وعلى نفوس الناس التى لم تعد كما هى، على حد تعبيره.

كم أتمنى أن يذهب وزير السياحة ووزير الزراعة إلى تلك القرى.. السياحة الريفية لها مستقبل واعد فى مصر.. ما زلنا نملك مقومات غير محدودة لكننا نحتاج إلى تفكير مختلف وإجراءات صارمة لتجسير الخدمات التى تحتاجها تلك البلاد.. لا يمكن لسائح فى طريقه لتل بسطا مثلًا أن يذهب إلى هناك والمطاعم معدومة.. الفنادق غير موجودة.

أما الفلاحون فهم فى شديد الاحتياج لزيارة عاجلة من وزير الزراعة لحل مشكلات التقاوى والمبيدات وتغيرات المناخ.. الفلاح يعانى من فساد محاصيله وآخرها الطماطم بسبب هذه التغيرات.. مزارع النخيل تعانى من سوسة النخيل الحمراء.. وفشلت المحاولات والمبيدات الدارجة فى التعامل معها.. وزارة الرى من الواضح أن رجالها فى تلك الأماكن فى سبات تام.. لقد علمت أن مهرجان الخيول، الذى يقام هناك الآن ولمدة أسبوع تقريبًا، يحظى بأنواع نادرة من الخيول العربية التى يعشق السائح العربى والأجنبى مشاهدتها.. فلماذا يقتصر الأمر على ذلك الأسبوع؟

الشرقية محافظة غنية جدًا بالتاريخ والجغرافيا.. كل شبر فيها حكاية.. بوابة مصر الشرقية.. الأرض التى شهدت رحلة المسيح.. وطفولة موسى.. وكفاح أحمس ضد الهكسوس تملك من الأساطير الكثير ما يغرى بالاستثمار فى مجالات سياحية جديدة.. الوجود العربى بجناحيه الحجازى والمغربى وهو أمر ظاهر فى الزى واللغة والمعاملات.. يغرى أيضًا بثقافته المختلفة.. أعتقد أن هيئة تنشيط السياحة بالشرقية لديها خطط طموح لتطوير أدواتها، لكن الأمر يحتاج لتضافر وزارات مختلفة للعمل بشكل جماعى.

أن تصبح حياة أهلنا فى الريف أفضل ليس حلمًا بعيد المنال.. لأن أهم عنصر فى عملية البناء تلك وهو الإنسان موجود وثرى وعلى استعداد.. يحتاجنا جميعًا.. إعلاميين وأهل اقتصاد وفكر وثقافة.

أدهشنى لقاء بأحد كوادر كلية الزراعة بجامعة الزقازيق اسمه الدكتور محمد يوسف.. لقد تحدث الرجل عن أبحاث جديدة مهمة تخلق عشرات الفرص لزراعات جديدة ولزيادة إنتاجية زراعات تقليديه تخلق آلاف فرص العمل.. هذه الدراسات، وأغلبها عملى وجرى التأكد منه، يحتاج إلى يد الحكومة ومؤسساتها وبخاصة الصناعة والزراعة.. فى حاجة إلى شركات دواء لاستثمار تلك الأبحاث التى أُجريت على زراعات موجودة بالفعل.. سأضرب لك مثلًا.. معظم مخلفات شجر اللوف يتم التخلص منها فى حين أنه يمكن استخدامها فى علاج أمراض القلب.. يمكن استخدامها فى إنتاج أعلاف عالية القيمة.. هذه الأبحاث موجودة فلماذا لا نهتم بها؟.. الأسلاك بين الحكومة ومؤسسات البحث العلمى للأسف وبين المستثمرين من جهة ثالثة تكاد تكون مقطوعة.. ورغم ذلك.. الحلم قابل لأن يصبح واقعًا.. أهلنا فى ريف الدلتا وفى كل مكان من أرض مصر المحروسة ينتظرون لتستمر أغنية عمنا فؤاد حداد.. يا مجاور ألف مدنة ورزقك بالحلال.. حى على بلدنا.. حى على بلدنا.

الأسلاك بين الحكومة ومؤسسات البحث العلمى للأسف وبين المستثمرين من جهة ثالثة تكاد تكون مقطوعة

محمدعبدالمنعم

الحق فى الثقافة

الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان هى جزء من جهود الدول لتعزيز وحماية حقوق الإنسان فى مختلف المجالات، بما فى ذلك الحقوق المدنية والسياسية، الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية. فى مصر، أُطلقت الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان فى سبتمبر ٢٠٢١، بهدف وضع إطار شامل لتحسين حالة حقوق الإنسان فى البلاد. تُعَد الحقوق الثقافية جزءًا أساسيًا من هذه الاستراتيجية، حيث ترتبط بحرية الأفراد فى التعبير الثقافى والحفاظ على التراث والمشاركة فى الحياة الثقافية.

الحقوق الثقافية تمثل جزءًا أساسيًا من حقوق الإنسان الشاملة، وهى تتعلق بحرية الأفراد فى التعبير الثقافي، الوصول إلى الموارد الثقافية، والمشاركة فى الحياة الثقافية لمجتمعهم. هذه الحقوق تشمل حماية التراث الثقافي، احترام التنوع الثقافي، والاعتراف بالثقافات المختلفة.

أُقرّت الحقوق الثقافية فى العديد من الاتفاقيات الدولية التى تُشكل الأساس القانونى لحمايتها. ومن أبرز هذه الاتفاقيات:

الإعلان العالمى لحقوق الإنسان (١٩٤٨): نصت المادة ٢٧ منه على أن لكل فرد الحق فى المشاركة الحرة فى الحياة الثقافية للمجتمع، والتمتع بالفنون، والإسهام فى التقدم العلمي.

العهد الدولى الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (١٩٦٦): تضمن المادة ١٥ حق كل فرد فى المشاركة فى الحياة الثقافية، والتمتع بالفوائد الناتجة عن التقدم العلمي.

اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافى (٢٠٠٥): التى أقرتها منظمة اليونسكو لتعزيز التنوع الثقافى وحمايته.

الحقوق الثقافية فى الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان

تضمنت الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان التى أطلقتها مصر محاور متعددة تتعلق بالحقوق الثقافية، وهى:

تعزيز التنوع الثقافى وحماية التراث:

تهدف الاستراتيجية إلى حماية وتعزيز التراث الثقافى المصري، الذى يُعتبر أحد أهم عناصر الهوية الوطنية. من خلال ذلك، تُشدد الاستراتيجية على أهمية الحفاظ على الآثار والمواقع التراثية والأعمال الفنية والأدبية التى تعبر عن الحضارة المصرية.

الوصول إلى الثقافة:

حق الوصول إلى الثقافة يُعد من أولويات الاستراتيجية، وذلك من خلال تعزيز البنية التحتية الثقافية وتوسيع نطاق الأنشطة الثقافية لتشمل مختلف الفئات فى جميع أنحاء مصر. يشمل ذلك افتتاح المكتبات العامة، المسارح، المتاحف، والمراكز الثقافية فى المدن الريفية والمناطق النائية.

تعزيز حرية الإبداع:

الاستراتيجية تُعزز حرية الإبداع الفنى والأدبي، حيث تُعتبر الفنون جزءًا مهمًا من الحقوق الثقافية. يتم دعم الكُتاب والفنانين والمبدعين من خلال إتاحة المساحات الحرة لعرض أعمالهم، مع العمل على محاربة الرقابة التى تعيق التطور الثقافى.

تشجيع التعليم الثقافى:

التعليم يُعد وسيلة أساسية لنشر الوعى بالحقوق الثقافية، لذلك تسعى الاستراتيجية إلى دمج المناهج الدراسية ببرامج تثقيفية تعزز الوعى بأهمية الثقافة فى بناء المجتمع. هذه الجهود تهدف إلى تكوين أجيال قادرة على الابتكار والإبداع، وفهم قيمة التنوع الثقافى.

التحديات والآفاق:

رغم التقدم الملحوظ فى تعزيز الحقوق الثقافية من خلال الاستراتيجية الوطنية، إلا أن هناك تحديات مستمرة تواجه تنفيذ هذه الحقوق على أرض الواقع. بعض هذه التحديات تشمل:

العوامل الاقتصادية: التأثيرات الاقتصادية السلبية قد تعيق تنفيذ العديد من المشاريع الثقافية أو تقلل من الوصول إلى الموارد الثقافية فى المناطق الأكثر احتياجًا.

التفاوت الإقليمي:

هناك تفاوت فى وصول الأنشطة الثقافية بين المدن الكبرى والمناطق الريفية، حيث لا تزال بعض المناطق تعانى من نقص فى المراكز الثقافية والبنية التحتية الفنية.

حرية الإبداع مقابل القيود المجتمعية:

على الرغم من وجود جهود لتعزيز حرية التعبير الثقافى والفني، إلا أن بعض المبدعين والفنانين قد يواجهون قيودًا بسبب الأعراف الاجتماعية أو القانونية التى تحد من حريتهم.

> الحقوق الثقافية ليست مجرد ترف فكرى بل هى ضرورة أساسية لتحقيق التقدم والازدهار فى أى دولة

القوانين والاتفاقيات الدولية الداعمة للحقوق الثقافية:

اتفاقية اليونسكو لحماية التراث الثقافى غير المادى (٢٠٠٣):

تهدف إلى الحفاظ على التراث الثقافى غير المادى للأجيال المقبلة. تعتبر مصر من الموقعين على هذه الاتفاقية وتلتزم بتنفيذ بنودها.

اتفاقية حماية التراث العالمى الثقافى والطبيعى (١٩٧٢):

تدعو إلى حماية التراث العالمى والمحافظة عليه للأجيال القادمة. وقد تم إدراج العديد من المواقع المصرية ضمن قائمة التراث العالمي، مثل الأهرامات والمعابد القديمة.

الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى (١٩٦٥):

تشدد على ضرورة عدم التمييز فى التمتع بالحقوق الثقافية على أساس العرق أو الدين أو اللغة.

فى النهاية تُعتبر الحقوق الثقافية جزءًا لا يتجزأ من حقوق الإنسان الشاملة، وتعكس أهمية التنوع الثقافى فى بناء المجتمعات المستدامة. فى إطار الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان فى مصر، تم التركيز على تعزيز هذه الحقوق من خلال حماية التراث الثقافى، دعم الإبداع الفني، وتعزيز الوصول إلى الثقافة للجميع. ومع ذلك، لا يزال هناك العديد من التحديات التى تتطلب مزيدًا من العمل المشترك بين الحكومة والمجتمع المدنى لضمان التنفيذ الفعلى لهذه الاستراتيجية على أرض الواقع.

الحقوق الثقافية ليست مجرد ترف فكرى، بل هى ضرورة أساسية لتحقيق التقدم والازدهار فى أى دولة. ومن خلال احترام هذه الحقوق وضمان تنفيذها، تضمن مصر دورًا رياديًا فى تعزيز مكانتها الثقافية إقليميًا ودوليًا.

حسين عثمان

شىء من الحرب

تأتى الذكرى الحادية والخمسون لنصر أكتوبر المجيد هذا العام وسط أجواء حرب ساخنة فى محيطنا الإقليمى، وهى متصاعدة بشكل جنونى لا يُبشر بأى خير فى الآونة الأخيرة، وكانت «حماس» قد أشعلت مقدماتها بهجوم «طوفان الأقصى» فى ٧ أكتوبر من العام الماضى فى عملية مباغتة استهدفت إسرائيل على عدة محاور، وجاءت بشكل عام نتيجة استمرار الانتهاكات الإسرائيلية لساحات المسجد الأقصى والتمييز بين العرب واليهود وزيادة معدلات الاستيطان بالضفة الغربية، ومعها ارتفاع حدة القرارات العدائية فى مواجهة الفلسطينيين بعدما مال توجه الحكومة الإسرائيلية فى السنوات الأخيرة إلى اليمين المتطرف، وقبل هذا كله إحكام الحصار الصهيونى الخانق على غزة لنحو ١٧ عامًا الآن.

من وقتها أعلنتها إسرائيل حربًا شعواء تجاوزت فيها حدود اللا معقول، وإلى حد تعاطف شعوب العالم مع ضحايا غزة لأول مرة بإجماع غير مسبوق، ولكن صلف الكيان الصهيونى وعناده أخذا منطقة الشرق الأوسط إلى منعطف خطير بهجومه الجنونى مؤخرًا على لبنان وسوريا، فتحت إسرائيل أكثر من جبهة فى آنٍ واحد، والأمر بات جد خطير إلى حد أنها قد تكون معركة الحسم «نكون أو لا نكون»، الثقة كاملة فى وعى الدولة المصرية لخطورة الأزمة هذه المرة، ورأس الدولة الرئيس عبدالفتاح السيسى يؤكد فى كل وقت أن الأمن القومى المصرى فوق أى اعتبار، وهو بالفعل مُهدد هذه الأيام، وهى الحقيقة التى يجب أن يضعها الشعب المصرى نصب عينيه وعلى أجندة حياته اليومية.

يخطئ من يظن أن ملف الأزمة هذه المرة يخص الدولة وحدها، فهى فاصل تاريخى مصيرى مُتجدد من فصول الصراع العربى الإسرائيلى الممتد الآن لأكثر من سبعة عقود بدأت مع زرع الكيان الصهيونى فى فلسطين سنة ١٩٤٨، ولعل نصر أكتوبر المجيد سنة ١٩٧٣ خير شاهد على هذا، فلم تكن معركته فى حينها سياسية أو عسكرية وفقط، وإنما شارك فيها الشعب المصرى بأسره كلٌ فى مكانه ومن موقعه على امتداد القُطر المصرى، فكان أن تحقق النصر واستعادة الكرامة ورد الاعتبار، وصحيح أن النصر تحقق فى أكتوبر ٧٣ ولكنه جاء محصلة تكاتف جهود دامت متواصلة ومستمرة ست سنوات منذ هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧.

فإذا ما احتفلنا بذكرى انتصارات أكتوبر هذا العام، فلا بد وأن نأخذ فى اعتبارنا الأجواء الملتهبة فى محيطنا الإقليمى، وننتهز فرص الاحتفال هذه المرة فى استحضار روح أكتوبر ٧٣ الجماهيرية تحديدًا، بالتركيز على دور الشعب المصرى وجهوده فى تحقيق النصر، وهى مناطق لا تزال رمادية غائمة لم تأخذ حقها فى الرصد والاستكشاف والتوثيق بما يوازى قيمة مشاركة الشعب المصرى فى المعركة دعمًا لروح الجنود على الجبهة وما ترتكته من آثار إنسانية مُلهمة باقية حتى الآن، ونحن فى «دار ريشة للنشر والتوزيع» انتبهنا لهذا واجتهدنا فيه احتفاءً واحتفالًا باليوبيل الذهبى لنصر أكتوبر المجيد العام الماضى، فأصدرنا كتاب «شىء من الحرب» لمؤلفه الكاتب الصحفى والباحث محمد توفيق بجزءيه «السلاح السرى» و«الكعك والبارود».

فى تصدير الجزء الأول «السلاح السرى» كتب محمد توفيق:

«استدعى الرئيس جمال عبدالناصر وزراء حكومته لعقد اجتماع سرى بعد ٢٦ يومًا من النكسة، ولم يكن جائزًا أن يتخلف أحد عن هذا الاجتماع. وذهب جمال إلى الاجتماع، وهو يحمل فى رأسه رسالة واضحة يريد أن ينقلها إلى وزرائه، لكنه يخشى تسريبها. وقبل أن يبدأ الرئيس حديثه قال مُحذرًا: الكلام اللى هيتقال هنا مايطلعش برة.. ثم نظر إلى الوزراء الجالسين أمامه وإلى جواره، وأخبرهم بأنه ليس مطروحًا أن يقول أى وزير ما يدور فى هذا الاجتماع لأحد حتى لو كان زوجته. وأخبرهم أنه علم أن بعض الحاضرين من السادة الوزراء تحدثوا مع المقربين منهم عما دار فى الاجتماع الماضى. وبعد أن تحدث سريعًا فى السياسة والعسكرية، انتقل للحديث عما يشغله، وسأل الحاضرين: هل لديكم أى ملاحظات؟.. وقبل أن يفكر أحد الوزراء فى الإجابة عن سؤال الرئيس، قرر جمال أن يجيب بنفسه عن سؤاله: أنا شايف إن التليفزيون حزين، والإذاعة حزينة، ومفيش داعى نعيط، الحرب لا تعنى التفرغ للبكاء على الماضى وسماع الأناشيد بقدر ما تُحتم التفكير فى المستقبل».

أما فى تصدير الجزء الثانى «الكعك والبارود» فقد كتب المؤلف:

«حاول أن تُصدق، فما جرى يصعب تصديقه، رغم أنه من الممكن توثيقه.. الجندى الذى جرى على قدميه خلف الدبابة وهى تحاول الفرار منه، والفلاح الذى عبر بجلبابه قناة السويس غير عابئ بالقنابل التى تتساقط حوله، والمزارع الذى أسر طيارى العدو بفأسه التى يزرع بها أرضه، والطبيب الذى نظف أرضية المستشفى، والمهندس الذى قاد سيارة الصرف الصحى، والفتاة التى أجلت زواجها وتبرعت بجهازها من أجل جيشها، والطفلة التى وهبت كل ما تملك للمجهود الحربى، ولم تكن تملك سوى ثمن علبة سجائر وقطعة صابون!.. فلم تكن حربًا للجنود وحدهم على خط النار، وإنما كانت معركة خاضها شعب بأكمله، اقتسم مع المقاتلين رغيف الخبز وكوب الشاى، واستغنى عن السكر، واكتفى بحلاوة النصر».

كلمة الزعيم جمال عبدالناصر جددت الإشارة إلى إيمانه بـ«القوة الناعمة» كأحد أهم أسلحة المعارك، ولعله أكثر من أجاد فاعلية استخدامها فى إدارة شئون الحكم، فكان ما يقوله فى خطبه ويردده فى تصريحاته يُحاوط الشعب المصرى فى وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، صحافة وثقافة وفن وخلافه، الجميع فى أنشطته اليومية ملتف حول نفس القضايا، فكانت هذه الوسائل رغم قلتها مؤثرة فاعلة إلى أبعد الحدود، وهو ما استنهض روح جموع المصريين حوله تباعًا منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، حتى تجاوزت معه أزمات حكمه وأهمها هزيمة يونيو ٦٧ فكان أن شرع فى حرب الاستنزاف بعدها بأيام، وإلى حد التفافهم بنفس الروح المُتعاظمة حول الرئيس الراحل محمد أنور السادات حتى تحقق النصر على يديه فى أكتوبر ٧٣، بما ساهموا به من أدوار فى المعركة كما وثق محمد توفيق فى الجزء الثانى من كتابه.

روح «أكتوبر» وما قبله من سنوات الاستعداد لمعركته التاريخية المُلهمة هى ما نحتاج إليه بقوة هذه الأيام، وهو ما يفرض ضرورة الاحتفال بذكرى انتصاراته بتوجهات مختلفة هذه المرة، تأخذ أول ما تأخذ بعين الاعتبار دور الشعب المصرى فى تحقيق النصر بجانب السلاح والسياسة، حتى نعيد التأسيس لهذه الروح وسط أجواء الحرب الساخنة المحيطة بنا، والتى لا يعلم إلا الله ما تأتى به فى قادم الأيام.

روح «أكتوبر» وما قبله من سنوات الاستعداد لمعركته التاريخية المُلهمة هى ما نحتاج إليه بقوة هذه الأيام

أسامة عبد الرءوف الشاذلى

قراءة فى تاريخ فلسطين: شريعة القتل وفقه الإبادة «5»

ذكرنا فى المقال السابق أن عزرا الكاتب بعد أن قام بطرد النساء الأجنبيات اللائى تزوجن من يهود، واطمأن إلى خلو الأرض من الشعوب «الرجسة»، على حد قول التوراة، بدأ فى كتابة أسفار التوراة، ووضع أسس الشريعة التى لا تزال تحكم الفكر اليهودى حتى الآن. ولك أن تتخيل صديقى القارئ قدر الانحراف المحتمل حين تقوم مجموعة من الناس بوضع كتاب يسجل تعاليم ظلت قرابة الألف عام، تنتقل شفهيًا وتمتزج فيها التعاليم الدينية بالأهواء الشخصية، والأساطير الشعبية، وطبيعة المنتج المحتمل من هذا المزيج.

وقد قسم علماء اللاهوت مصادر التوراة التى اعتمد عليها عزرا فى كتابة العهد القديم، إلى ثلاثة مصادر، الأول، ويسمى «المصدر اليهودى»، وهو أقدم المصادر، ويعتمد بالأساس على الأساطير الشعبية للشعوب التى عاش بينها العبرانيون، ومنها قصص الخلق والطوفان وغيرهما. والمصدر الثانى، ويسمى «المصدر الإلوهيمى» وهو يعتمد على التعاليم الأخلاقية والعبادات، التى توارثها بنو إسرائيل تواترًا، ويركز هذا المصدر على إبراز قضية التوحيد والشرائع المتعلقة بالصلاة والصوم والقرابين والكفارات، وغيرها. أما المصدر الأخطر والأخير فهو «المصدر الكهنوتى»، وهو يعتمد اعتمادًا كليًا على أفكار حاخامات فترة السبى، على رأسهم عزرا الكاتب، ويهتم هذا القسم بتأريخ تاريخ الأمة اليهودية، ويركز على رواية القصص البطولية للآباء الأوائل المؤسسين، ويؤكد أفكارًا مثل قدسية الأرض، ونقاء العنصر اليهودى أمام باقى الشعوب.

والعجيب أن هذا التاريخ المشكوك فيه، ظل هو المصدر الأساسى والمعتمد لتاريخ اليهود قرابة ألفى عام، بل تم الترويج له، والاستدلال به من الحركات الصهيونية فى العالم المسيحى بأوروبا، لإثبات الأحقية التاريخية لليهود فى الأرض، رغم ما به من انحرافات أكد عليها العلماء والمفكرون.

وذكر نيتشه «أن التوراة تحتوى على مادة تاريخية مشكوك فى صحتها، فقد شوهت لأغراض معينة، وتأثرت بالخيال الشعرى، بحيث لا يمكن اعتبار ما فيها من جملة الحقائق التاريخية». أما العالم التوراتى الألمانى «يوليوس فيلهاوزن»، فقد قال صراحة «إنه يجب النظر إلى القصص التوراتية كأساطير وطنية، لا تزيد فى صحتها التاريخية عن الصحة التاريخية للمحمة «أوديسيوس» لهوميروس، أو ملحمة «إينياس» لفرجيل.

وقد تلعب الأساطير الوطنية دورًا فى تعزيز الشعور الوطنى والإحساس بالانتماء، ولكن تكمن خطورة الأساطير التوراتية فى أنها عقيدة يتطلب الإيمان بها التصديق بالقول والعمل، ويترتب على العمل بها مذابح يمنح بها القاتل صكًا يعفيه من أى مسئولية دينية أو دنيوية.

فقد أسرف كتبة التوراة فى تمجيد عنف الآباء المؤسسين، مثل موسى ويوشع وداود وسليمان مع أعدائهم، فزعموا أن الرب أمر موسى أن يبيد أهل مديان فلا يُبقى منهم حيًا، وأن يسلب أملاكهم ويحرق مساكنهم، فذكروا فى سفر العدد «وَسَبَى بَنُواإِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ».

وحين عاد الجنود من المعركة بالنساء والأطفال الأسرى سخط موسى وأمرهم بقتل الأطفال الذكور والنساء اللائى أنجبنهن، فقال «فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ، وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا». «سفر العدد ٣١».

ولا يوجد سفر فى التاريخ يمجد الإبادة الجماعية والقتل مقابل الاستيطان مثلما فعل سفر «يوشع» المقدس الذى يحكى دخول بنى إسرائيل إلى أريحا والمدن الفلسطينية، بعد عبورهم نهر الأردن، التى وصفها سبينوزا بأنها «أكبر عملية إبادة مقدسة فى التاريخ»، وقال عنها ديورانت «ولسنا نعرف فى تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف فى القتل والاستمتاع به». فقد ذكر السفر أن يشوع بن نون قد حاصر مدينة عاى، وبعد أن استسلم ملكها قتله يوشع شر قتلة، ثم أتى على المدينة وقتل اثنى عشر ألفًا من الرجال والنساء، وأحرق المدينة بأكملها. وهذا نص الإصحاح الثامن من سفر يشوع: «وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاى فى الحقل فى البرية، حيث لحقوهم وسقطوا جميعًا بحد السيف حتى فنوا، فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفًا، من جميع أهل عاى. وأحرق يشوع عاى وجعلها تلًا أبديًا خرابًا إلى هذا اليوم».

ومن بين صور الإبادة الجماعية التى ذكرتها التوراة، مثل القتل والحرق والسلب والنهب، يظل قتل النساء، والأطفال هو الصورة الأكثر تفردًا، ولا يوجد لها مثيل فى أى عقيدة أخرى. وقد تكرر الأمر الإلهى لهم، بزعمهم، بقتل النساء والأطفال فى أغلب الحروب التى خاضوها من أجل الاستيطان. فعلى سبيل المثال، صدر الأمر بقتل النساء والأطفال عند دخول جلعاد «اذْهَبُوا وَاضْرِبُوا سُكَّانَ يَابِيشَ جِلْعَادَ بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ» القضاة ٢١: ١٠، وتكرر الأمر لشاول- أو طالوت- بقتل كل من يقابله عند دخول غزة، ولم يكتف بقتل الرجال والنساء والأطفال والحيوان، وإنما نص الأمر كذلك على ضرورة قتل الأطفال «الرضع»، فقال «فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ، بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا»، «صموئيل الأول ١٥: ١ - ٣». وأعيد التأكيد عليه بقتل «الرُضَّع» حينما توجه إلى مدينة «نوب» فقيل له: «وَاضْرِبْ نُوبَ مَدِينَةَ الْكَهَنَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ. الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ وَالرُّضَّعَانَ»، «صموئيل ٢٢».

ومن الأشياء البشعة التى تقشعر منها الأبدان، الأوامر بتحطيم الأطفال بالحجارة، وشق بطون الحوامل، ونشر الأسرى بالمناشير ونوارج الحديد، وهى أشياء يضيق المقام بذكرها، ولكن يمكن للقارئ العودة إلى أسفار أخبار الأيام الأول وسفر يشوع إذا كان قلبه يحتمل الاستزادة!

وبعيدًا عن أن هذه الآيات محرفة، وأنها لا يمكن أن تكون أمرًا إلهيًا، وإنما من وضع عزرا ورفاقه، يظل الإيمان والعمل بها قائمًا حتى الآن. ولا أقصد هنا ممارسات القادة العسكريين فى الأرض المحتلة، وإنما إيمان الأجيال الجديدة من تلاميذ المدارس الإسرائيلية بهذه الممارسات. ففى استفتاء قام به عالم الاجتماع الإسرائيلى تامارين فى عدد من مدارس تل أبيب والمدن والمستعمرات الإسرائيلية، عام ١٩٨٨ حول الأساليب الهمجية التى انتهجها يشوع، مع أهل أريحا، كانت النتيجة أن نحو ٦٦-٩٥٪ من طلبة المدارس المشمولين بالبحث، أيَّدوا ذلك الأسلوب، وأن ٣٠٪ منهم أيدوا بصورة قطعية إبادة السكان العرب تمامًا فى المناطق المحتلة. ومن الأجوبة التى تلقاها: «لقد تصرف يشوع بن نون تصرفًا حسنًا بقتله جميع الناس فى أريحا، ذلك لأنه كان من الضرورى احتلال البلاد كلها، ولم يكن لديه وقت لإضاعته مع الأسرى».

ولا شك أن بعضًا من هؤلاء الطلبة الذين أجروا الاستفتاء فى عام ١٩٨٨، قد صاروا فى مواقع قيادية الآن، ويمارسون ما آمنوا به من أفكار على أرض الواقع.

وللحديث بقية..

> فزعموا أن الرب أمر موسى أن يبيد أهل مديان فلا يُبقى منهم حيًا وأن يسلب أملاكهم ويحرق مسلكنهم

محاسن السنوسى

عودة «مازن وفرحة».. من الشارع إلى المدرسة

مع بداية عام دراسى جديد من العلم والبهجة والنشاط فى كل أنحاء العالم تتزين الشوارع بتلاميذ فى مراحل تعليمية مختلفة.. إنها احتفالية أشبه بكرنفال العلم.. أزياء مدرسية بألوان متعددة، وحافلات تجوب الشوارع تنقل هؤلاء إلى مدارسهم، ومجموعة أخرى تذهب سيرًا على الأقدام، منهم من فى صحبة والديه أو مع رفاقه.

أجراس تدق لتعلن عن بداية يوم دراسى وتحية العلم واجبة قبل الحصة الأولى.. جميعًا تأخذنا الذكريات لسنوات مبكرة من العلم والتعلم بكل ما تحمله من مواقف وزملاء برفقتهم كان لنا مشوار طويل من المدرسة إلى الجامعة وسوق العمل.. خلال هذه الرحلة الطويلة قد يغيب عن الدراسة زملاء أو هناك من لم يحالفه الحظ لاستكمال مشواره العلمى بما يعرف بظاهرة «التسرب من التعليم»، أما الأسوأ حظًا الطفل الذى حرمته الحياة من الالتحاق بالمدرسة.. هؤلاء الأطفال يعيشون حولنا، نجدهم فى الطرقات أو بين الأهل والجيران، قد نغض الطرف أحيانًا عن هؤلاء الأطفال، لكن الواجب الإنسانى يحتم علينا أن نبحث عنهم ونرسلهم إلى صفوف الدراسة مرة أخرى.. فالأمر ليس صعبًا، بل مسئولية مجتمعة يكلف بها كل من يملك مساعدة هؤلاء المتسربين.

أسباب التسرب أو الانقطاع عن الدراسة والعلم متعددة «اجتماعية واقتصادية وتعليمية»، أو أسباب شخصية تتعلق بالتلميذ نفسه وعدم قدرته على المشاركة الوجدانية، أو تشمل الأفراد الذين تركوا المدرسة نتيجة أزمات ومشكلات شخصية، أو أسرية كالمرض أو الضعف الجسمى أو الفقر أو وفاة الوالدين.

«مازن وفرحة» ضحايا خلافات زوجية بين الأب والأم، قرر الأب أن يحرم «فرحة» من العلم بعد انتهاء الصف الأول الابتدائى، أما «مازن» لم تتمكن الأم من تقديم أوراقه للمدرسة حين طلبت منها إدارة المدرسة الرقم القومى للوالد وشهادة ميلاد الطفل.. لم تتمكن «أم مازن» من استكمال هذه الأوراق بعد انفصال الزوج عنها ولم تعرف عنوان مسكنه.

لفت انتباهى فى يناير الماضى أن «مازن» لم يذهب إلى المدرسة مع رفاقه، كما هو حال «فرحة».. اقتربت من «أم مازن»، ٢٩ عاما، لتروى قصتها، تزوجت من رجل لا يقدّر المسئولية نحو أسرته، وبعد عناء لسنوات وظروف صعبة قررت أن تترك له المنزل، واصطحبت طفليها «مازن ٥ سنوات، وزينب ٨ أشهر» لتعمل حارس عقار؛ حتى تتمكن من الإنفاق على طفليها.. وقبل أن تغادر «أم مازن» منزل الزوجية، احتجز الأب «فرحة» الابنة الكبرى وحرمها من استكمال دراستها.. أو كما نقول بالعامية خرّجها من المدرسة لتخدم والدته المسنة.

حين سألت «مازن» هل ترغب فى العودة للدراسة، أجاب بشغف نعم نفسى أروح المدرسة زى باقى الأولاد.. اطمأننت لرغبته فى العلم، وبين الحين والآخر يذكرنى «مازن» إمتى أروح المدرسة.. عادت «فرحة» لحضن والدتها بعد انقطاع عن الدراسة لمدة عامين.. ثم حان وقت تقديم الأوراق للدراسة ودفع المصاريف.. حملت على عاتقى ضرورة عودة «مازن وفرحة» إلى الدراسة وكانت الخطوة الأولى اتصالى بالأستاذ عبدالله أبوليفة، موجه بالتربية والتعليم بالجيزة، وأخبرته برغبة «مازن وفرحة» فى الذهاب إلى المدرسة، وأن العقبة الوحيدة التى تواجه «أم مازن» أنها لم تتمكن من الحصول على صورة الرقم القومى للأب فى الوقت الذى لم تنفصل فيه رسميًا عن الزوج، ولا تعرف له مقر إقامه.. الحقيقة أن الأستاذ «عبدالله» بعث الاطمئنان إلى قلبى حين أخبرنى بأن الأمر بسيط والحل ممكن، طلب منى الذهاب إلى الأستاذ «ماهر»، مدير الإدارة التعليمية بالهرم فى يوم محدد.. فى الإدارة التعليمية بالهرم كان الأستاذ «ماهر» على علم بتفاصيل قصة «مازن وفرحة».. كان علينا أن نحصل على استثناء- موافقة- من مديرية الجيزة نظرًا لظروف «مازن وفرحة».. فى المديرية التعليمية بالجيزة كان الطلب محررًا بكلمات مقتضبة بالظروف التى تمر بها «أم مازن»، تقدمت به إلى السيدة «آمال»، التى وافقت على الفور بإرسال طلب «مازن» واستثنائه من تجاوز السن القانونية للصف الأول الابتدائى ٦سنوات إلى الإدارة التعليمية بالعمرانية، والموافقة لـ«فرحة» بالعودة إلى مدرستها التابعة إلى الإدارة التعليمية بالهرم.

كانت المفاجآة كبيرة حين أخبرنا الأستاذ «ماهر» بالإدارة التعليمية بالهرم، أن «فرحة» مقيدة بالصف الرابع الابتدائى؛ نظرًا لأن قانون التعليم بالمرحلة الابتدائية من الصف الأول إلى الثانى ثم الثالث الابتدائى يقضى بنقل الطالب إلى الصف الرابع دون اجتياز اختبار نهاية العام، بما يؤكد أن «فرحة» مقيدة بالصف الرابع.. لم تتمالك الأم فرحتها وأطلقت الزغاريد بعودة ابنتها للدراسة، بل إنها مقيدة بالصف الرابع الابتدائى.. أيضًا أتذكر هنا الرحمة بين الناس فى مثال رائع لموظفة التأمين الصحى الشامل بمحافظة الجيزة، وإن لم أتذكر تلك الموظفة الرؤوم كيف كانت حريصة على استخراج بطاقة التأمين الصحى لـ«مازن» بسهولة ويسر دون بيروقراطية حين علمت بظروفه.. كما أذكر مثالًا آخر لموظف البريد الذى بادر بتسديد طوابع فئة الـ٢٥ جنيهًا على نفقته الخاصة مساعدة منه «لأم مازن».. سكان العمارة التى تعمل بها «أم مازن»، جميعًا كانوا حريصين على متابعة إجراءات عودة «مازن وفرحة» للدراسة.

«مازن» من السبت الماضى بدأ عامه الدراسى الأول.. ينام مبكرًا ويستيقظ فى موعد المدرسة يقول لوالدته «أنا فرحان أوى يا ماما بالمدرسة.. شوفى يا ماما دا كتاب الحروف أ يعنى أرنب».. فرحة «فرحة» تجاوزت المدى، قالت: «يمكن أكون متأخرة كتير عن فهم الدروس فى الفصل زى باقى التلاميذ.. لكن لو مش هفهم من أول مرة ولا تانى مرة.. لكن تالت مرة أكيد هفهم».. «فرحه» تتمنى أن تكون مدرسة فى المستقبل، أما «مازن» ٧ سنوات لا يدرك كيف يكون المستقبل، إنما يؤكد حبه للعلم وللمدرسة، وهذا يكفى فى المرحلة الحالية من عمره.

> الحياة من الالتحاق بالمدرسة الواجب الإنسانى يحتم علينا أن نبحث عند الأطفال الذين حرمتهم الحياة ونرسلهم إلى صفوف الدراسة مرة أخرى

هناك نماذج حولنا فى مثل ظروف «مازن وفرحة».. الواجب المجتمعى يحتم علينا أن نقف إلى جانب من لا يملكون القدرة على العودة إلى صفوف الدراسة.. أتمنى أن نطلق مبادرة «لا للجهل..العودة للمدرسة».. مبادرة تهدف إلى حماية هؤلاء الأطفال من الجهل والتخلف عن الدراسة، نساعد بعضنا البعض.. رسالتى إلى القادرين على مساعدة المتسربين من التعليم العودة بهم إلى العلم.. الأمر ليس صعبًا، فإن قصة «فرحة ومازن» ملهمة للجميع.. هيا بنا نساعد من حولنا فى الحصول على حقه فى نور العقل.. فى العودة إلى الدراسة.. مهما فات الوقت لكل مشكلة حل.. لا أحد يعرف مستقبل «مازن وفرحة» أين ينتهى بهما مطاف العلم، لكن المؤكد أن مستقبلهما دون الرجوع إلى الدراسة معروف أن الجهل طريق مسدود.. «فرحة ومازن» فى طريق العلم.

شبابنا بين الإعلام التقليدى وهوس السوشيال ميديا

محمد عبدالعزيز

قرأت قبل يومين منشورًا للأكاديمية النابهة دكتورة سارة فوزى، المدرس بكلية الإعلام جامعة القاهرة علّقت فيه على توجهات الشباب المصرى نحو وسائل الإعلام التقليدية، بناء على الملاحظات التى رصدتها على إثر المقابلات الشخصية التى أجرتها للطلاب الجُدد الملتحقين بإعلام القاهرة هذا العام. حيث ذكرت أنها خرجت بانطباع مهم إزاء توجهات جيل الشباب بشأن متابعة وسائل الإعلام التقليدية، إذ تأكد لها أن شبابنا لا يتابعون برامج الأحداث الجارية أو التوك شو أو أيًا من المنصات الإخبارية، فى حين أن وسائل التواصل الاجتماعى المختلفة ومنشوراتها هى المصدر الرئيسى للأخبار لدى هذا الجيل من الشباب.

فى الحقيقة كنا نتوقع هذا من خلال متابعاتنا وبحكم احتكاكنا بمن حولنا من الشباب الذين نتعامل معهم فى محيطنا العائلى أو العملى، غير أن قيمة هذا الكلام تأتى من أنه جاء فى سياق لا يميل للشخصنة أو الانطباعات الذاتية. أتى هذا الاستنتاج فى إطار حديث شبه أكاديمى خرجت به باحثة مُنحت درجتى الماجستير والدكتوراه بمرتبة الشرف، فهى تعرف إذن طريقة جمع البيانات الإحصائية وكيفية وأهمية الاستدلال بها. وبناء عليه، فأنا أتمنى على الدكتورة سارة وغيرها من الباحثين الجادين، والجهات الأكاديمية المختصة، ومؤسسات الإنتاج الإعلامى الكبرى كالشركة المتحدة، وكذلك مراكز استطلاع الرأى العام، أرجو من هؤلاء جميعًا دراسة توجهات الجمهور المصرى نحو متابعة وسائل الإعلام التقليدية، وأن تُولى تلك الاستبيانات اهتمامًا بفئة الشباب فى الفئة العمرية بين ١٨ إلى ٢٩ عامًا والذين يمثلون نحو ٢١٪ من إجمالى تعداد السكان.

وإذا ثبتت دقة تلك الملاحظة – وهوما أعتقده وأميل إليه – يكون على الجميع بحث سبل استعادة كل وسائلنا المقروءة والمسموعة والمرئية للنسبة الأكبر والقاعدة الأهم من جمهورها وهم فئة الشباب. وهنا يتوجب على الخبراء والأكاديميين وقيادات الإعلام بما فى ذلك مجلسه وهيئتاه، بحث سبل استعادة جمهور الشباب ودراسة ما يستهويهم وتقديم مواد برامجية وفنية جاذبة لهذه الفئة العمرية.

قد يقول قائل: وما الذى يقلقك ويشغلنا إذا انصرف الجمهور عن متابعة وسائل الإعلام التقليدية واستبدلها بالفضاء الإلكترونى ليتابع من خلاله ما يشاء وقتما يشاء؟ وأرد بالقول إننا يجب أن ننشغل جميعًا بهذا الأمر، فلا يخفى على أحد نوعية ما يُبث عبر وسائل التواصل الاجتماعى حاليًا من مواد مكتوبة أو مصورة وفيها من الكوارث ما يهدد كيان أى مجتمع، لأن فى هذا المحتوى ما قد يضرب الثوابت، ويشكك فى العقائد، ويهدد السلم المجتمعى. ونحن وإن كنا لا ننكر دورًا مقدرًا تبذله الأجهزة والجهات المكلفة بحماية العقل الجمعى للمصريين، إلا أن ما يبث على مدار الساعة ومستوى ثقافة القائمين بالاتصال وأعداد رواد السوشيال ميديا وصناع المحتوى كلها أمور أصبحت تمثل عبئًا كبيرًا على المكلفين بالرصد والمتابعة، فضلًا عن أن فلترة ما يُبث قبل أن يُطرح على الرأى العام يبدو أمرًا شبه مستحيل.

هناك مخرج آخر لهذه المعضلة يتمثل فى قيام وسائل الإعلام التقليدية بالتوجه نحو وسائل التواصل ليتم من خلالها تقديم المحتوى الذى نأمن به على مستقبل أولادنا ونؤمنه، ولكن بآليات هذا العصر وبلغة يفهمها الشباب وبوسائل إبهار تجعل تقبُل هذا المحتوى أمرًا مؤكدًا. مبلغ ظنى أن هذا الهدف سيتحقق بوتيرة أسرع، كما يمكن أن يعود الشباب لوسائل الإعلام التقليدية بكثافة إن نحن اهتممنا بتقديم ما يهم هؤلاء الشباب وينفعهم ويلبى احتياجاتهم وينمى مهاراتهم ويتفاعل مع متطلبات سوق العمل التى يستهدفونها فعليًا.

> يتوجب على الخبراء والأكاديميين وقيادات الإعلام بما فى ذلك مجلسه وهيئتاه، بحث سبل استعادة جمهور الشباب

كما يتطلب الأمر إعادة النظر فى بعض الوجوه والأصوات والأقلام التى قد لا تكون حققت المستهدف بالوصول إلى القاعدة الشبابية من الجمهور الذى تستهدفه وسائل الإعلام، أو تلك التى قد لا تكون غير مؤهلة لمخاطبة الرأى العام والتأثير فيه. يستدعى الأمر كذلك العودة للاهتمام بدراسة توجهات الرأى العام من خلال عمليات المسح المدروس لفئات عمرية وثقافية ومجتمعية تُمثل كل أطياف المجتمع وسؤالهم عما يستهويهم وما يشغلهم لتتم تلبيته برامجيًا ودراميًا فى المرحلة القادمة. أظن أيضًا أن آلية جديدة لمعدل بث الفقرات الإعلانية صارت مطلوبة كذلك حتى لا يهجر الشباب الأجهزة التقليدية ليشاهدوا المواد لاحقًا عبر هواتفهم بدون تقطيع أو إعلانات.

فى اعتقادى أن الرسائل التى كان يقدمها الإعلام التقليدى فيما مضى وبصورة حوارية مباشرة صار التفكير فى بثها من خلال دراما مشوقة أو أغنية رقيقة أو مسابقة محفزة أمورًا لا غنى عنها. كلى يقين أن المتنفذين فى حقل الإعلام من كل الجهات الرسمية والأكاديمية يعكفون على دراسة تلك الظاهرة الجديدة، ولا يوجد لدى أدنى شك من أنهم سيجدون المخرج الصحيح الذى يعيد القارئ والمستمع والمشاهد لمنصاته الوطنية التقليدية بما يستتبعه هذا الأمر من ضمان لجودة المحتوى وكونه ممتعًا ومشوقًا ومستهدفًا للمصلحة العليا للوطن.

د. وجدى زين الدين

أعمق التحولات الثقافية فى ثورة يوليو

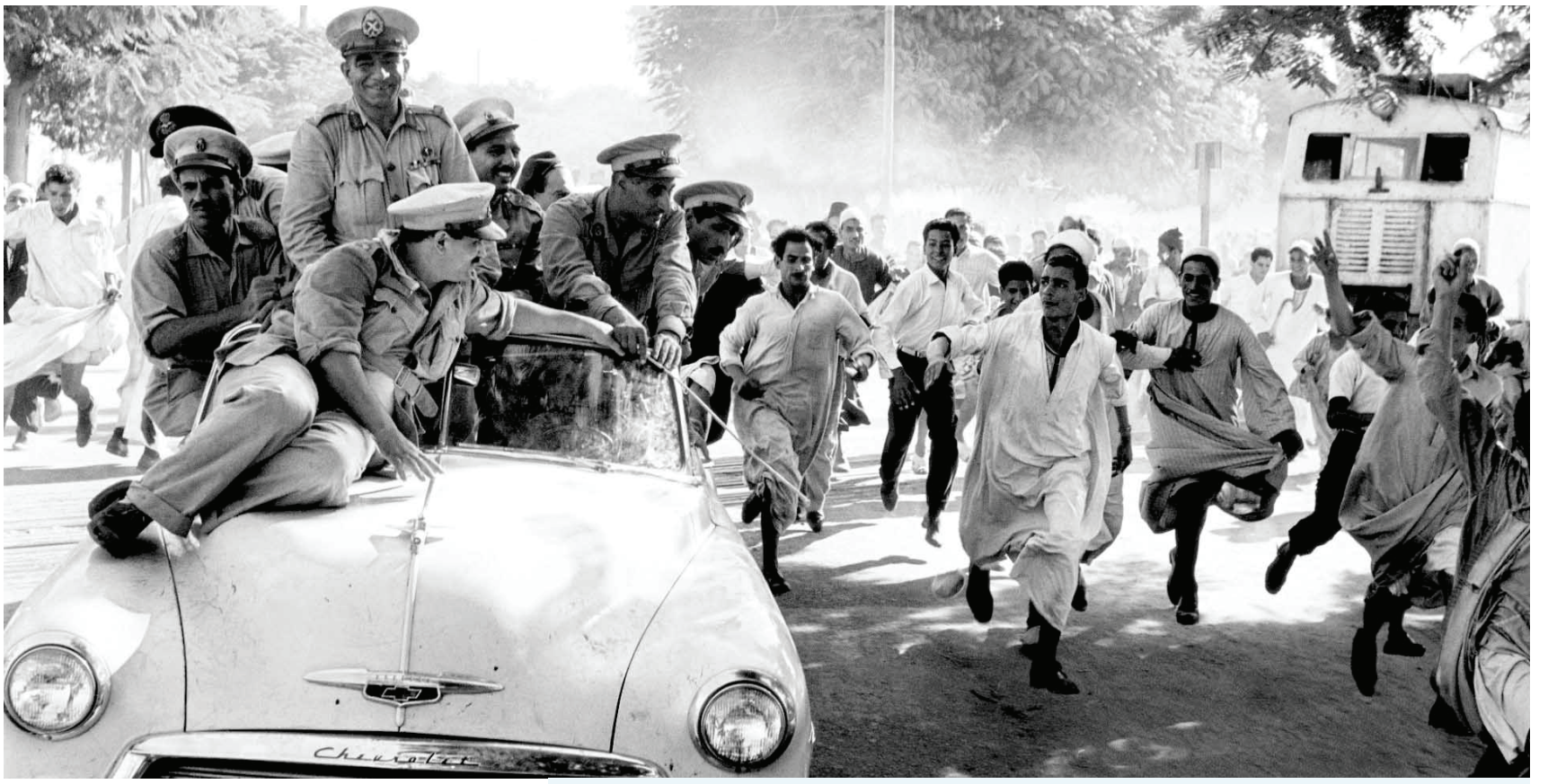

أستكمل الحديث الذى بدأته الأسبوع الماضى بعنوان «نظرة ثقافية على ثورة يوليو»، فهى ثورة لها أبعاد واسعة على الضباب الفكرى والأيديولوجى، الذى خيّم على البلاد حتى مطلع القرن العشرين، فقد كانت أبرز سمات النضال العربى منذ مطلع هذا القرن وأبعدها أثرًا فى مصائره. ذلك الفراغ الفكرى والأيديولوجى، الذى أضفى على الحركات العربية طابع الارتجال واختلاط الأهداف، وأدى- فى كثير من الأحيان- إلى التضارب والتناقض.

ولم يكن هذا الفراغ وليد المصادفة أو نتيجة طابع قومى اتسم به العرب، بل كان النتاج الضرورى للتخلف الاقتصادى والثقافى والاجتماعى بصفه عامة، الذى ورثته هذه المنطقة منذ عهود طويلة من جراء سيطرة الاستعمار، وقد شهد المجتمع المصرى، بعد ثورة يوليو، العديد من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن بينها أيضًا الثقافية. ولم تكن هذه التحولات من النوع التلقائى الذى يشق طريقه بعد فترات طويلة من الزمن تاركًا أقل الآثار الجانبية وأقل المشكلات الاجتماعية، لكنها كانت من النوع الآخر، وهو التحولات الناتجة عن تبنى سياسات من قبل الدولة تختلف جذريًا عن السياسات التى كانت تضبط حركة المجتمع من قبل، وفى هذا يرى كثير من المفكرين أن تاريخ ثورة يوليو يمثل نقطة البداية لأعمق التحولات الثقافية والسياسية التى شهدها المجتمع المصرى خلال القرن العشرين حتى الآن. وبالتالى فإن ثورة يوليو تعد امتدادًا لكل التيارات الثقافية المصرية قبلها.

وفى هذا يقول الدكتور أحمد حمروش إن الثورة ما كانت لتقوم لولا الثقافة العربية، والمثقفون المصريون الذين أضاءوا الطريق إلى أفكار الشباب الذين قاموا بالثورة. وأنا لا أميل لقطع التاريخ، حيث يصير لدينا ما قبل يوليو وما بعدها، فمسار تاريخ الشعوب مستمر ومتصل ولا يكترث بمثل هذه الانقطاعات الحادة التى أحيانًا ما نفرضها عليه. فحتى هذه اللحظة ما زلنا جميعًا نعتز ونستفيد بأفكار المثقفين المصريين، بدءًا من رفاعة الطهطاوى إلى الجيل الذى نشأ مع يوليو. ويفضل النظر إلى تلك الثورة الثقافية باعتبارها استمرارًا للثقافة المصرية بكل منجزها المعرفى.

الحقيقة أن الثقافة المصرية بعد يوليو قد انفتحت على الحياة العربية بمختلف نواحيها فإذا بالقضايا العربية الساخنة، وتحديدًا من قضيتى الجزائر وفلسطين تصبحان هما أساسًا فى نواحى الإبداع والثقافة فى مصر فى المؤلفات السياسية والسينما والمسرح والشعر والفن التشكيلى.

وليس من المبالغة أنه لولا انعكاسات التطلعات والطموحات العربية لثورة يوليو ودعمها اللا محدود لثورة الجزائر ما شهدت السينما المصرية آنذاك الفيلم المشهور «جميلة بوحريد» عن إحدى بطلات النضال الجزائرى. ولولا هذه التطلعات وترسيخ فكرة العروبة والارتباط بالمحيط العربى ما قرأنا هذا الكم الكبير والنوعى فى الكتابات والإبداعات المتعددة عن القضية الفلسطينية، وتحديدًا بعد اندلاع المقاومة الفلسطينية المسلحة عام ١٩٦٥.

وهناك إنجازات فى مجرى الثقافة فى مصر بالانفتاح على القضايا العربية وتغلغلها بأبعادها النضالية والإنسانية فى وجدان الكاتب والمبدع المصرى وبالذات القضية الفلسطينية بكل أبعادها الوطنية المختلفة، إضافة إلى إنجازاتها فى الآداب والفنون والمعارف، فلقد تم تأسيس أول وزارة للثقافة فى الشرق الأوسط، وتم تشييد أرفع المؤسسات الفنية. ويسرت الثورة على الجماهير المحرومة تذوق الفنون الرفيعة وشراء الكتب بأرخص الأسعار ومنح الأدباء والفنانين حق التفرغ. وأقامت مصر قطاعًا عامًا فى السينما والنشر وبنت المعاهد الفنية المتخصصة. ومهما قيل عن السلبيات والإخفاقات، فإنه يظل صحيحًا أيضًا وثابتًا أنه يعود الفضل للثورة فى ترسيخ البنية الأساسية للثقافة الوطنية الجديدة. كما أنه يظل صحيحًا وثابتًا أيضًا أنها كانت الحصن المنيع لميلاد أجيال من المبدعين والمتلقين الثقافة الأدبية والفنية.

وخلال عقدين من الزمان بين الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى تمكنت جماهير الثقافة الوطنية من استئناف النهضة، التى كان الاحتلال البريطانى وحكومات الأقليات قد أسقطتها عديدًا من المرات.

لذلك فإن النهضة التى هيأ لها محمد على، وليست الحملة الفرنسية نقطة البداية فى أعمال رفاعة الطهطاوى، كانت قد سقطت مع حكم عباس حلمى الأول ولم تستيقظ من جديد إلا فى غمار الثورة العرابية فى أعمال محمد عبده وعبدالله النديم ومحمود سامى البارودى حتى أسقطها الاحتلال الإنجليزى، واستيقظت مرة أخرى مع ثورة ١٩١٩ فى أعمال طه حسين والعقاد وسلامة موسى وهيكل والمازنى وأحمد أمين. واستمرت متقطعة فى المد الوفدى واليسارى وحاصرتهما ديكتاتورية الأقليات الدستورية، وأقبلت يوليو لتستأنف النهضة من جديد فى مناخ آخر استدعته الخريطة الاجتماعية الجديدة، وهنا كان نجيب محفوظ ومحمد مندور ولويس عوض وغيرهم من أعمدة النهضة الجديدة.

قلت إن الحكى عن الدور الثقافى لثورة يوليو ممتد وطويل وهو ما سيتم لاحقًا.

وللحديث بقية.

الثورة ما كانت لتقوم لولا الثقافة العربية،والمثقفون المصريون الذين أضاءوا الطريق

أحمد الخميسى

شاركنى هذا الذهول.. لو سمحت!

أريد هنا أن أقاسمك ذهولى، وربما تكون سذاجتى، وبداية أقول لك إن علاقتى بتكنولوجيا الاتصالات مقصورة على المعرفة الضرورية للتعامل مع وسائل الاتصال لا أكثر، ومثل الكثيرين كنت أسمع عن الذكاء الاصطناعى حتى التقيت بصديق ففتحه لى وقال لى «سجل له ما تشاء»، فكتبت: «تلزمنى قصيدة عن شوق رجل لامرأة يحبها»، وخلال ثوانٍ صعقتنى النتيجة بالدهشة حين وجدت الذكاء الاصطناعى يكتب عنى، أو لى، هذه القصيدة: «فى ليالى البعد، يسكننى الحنين.. وصوتك فى قلبى نغمةٌ تنادينى.. أرى فى كل زاوية طيفك الجميل.. وعلى كل نجمة أكتب لك رسائلى»!!

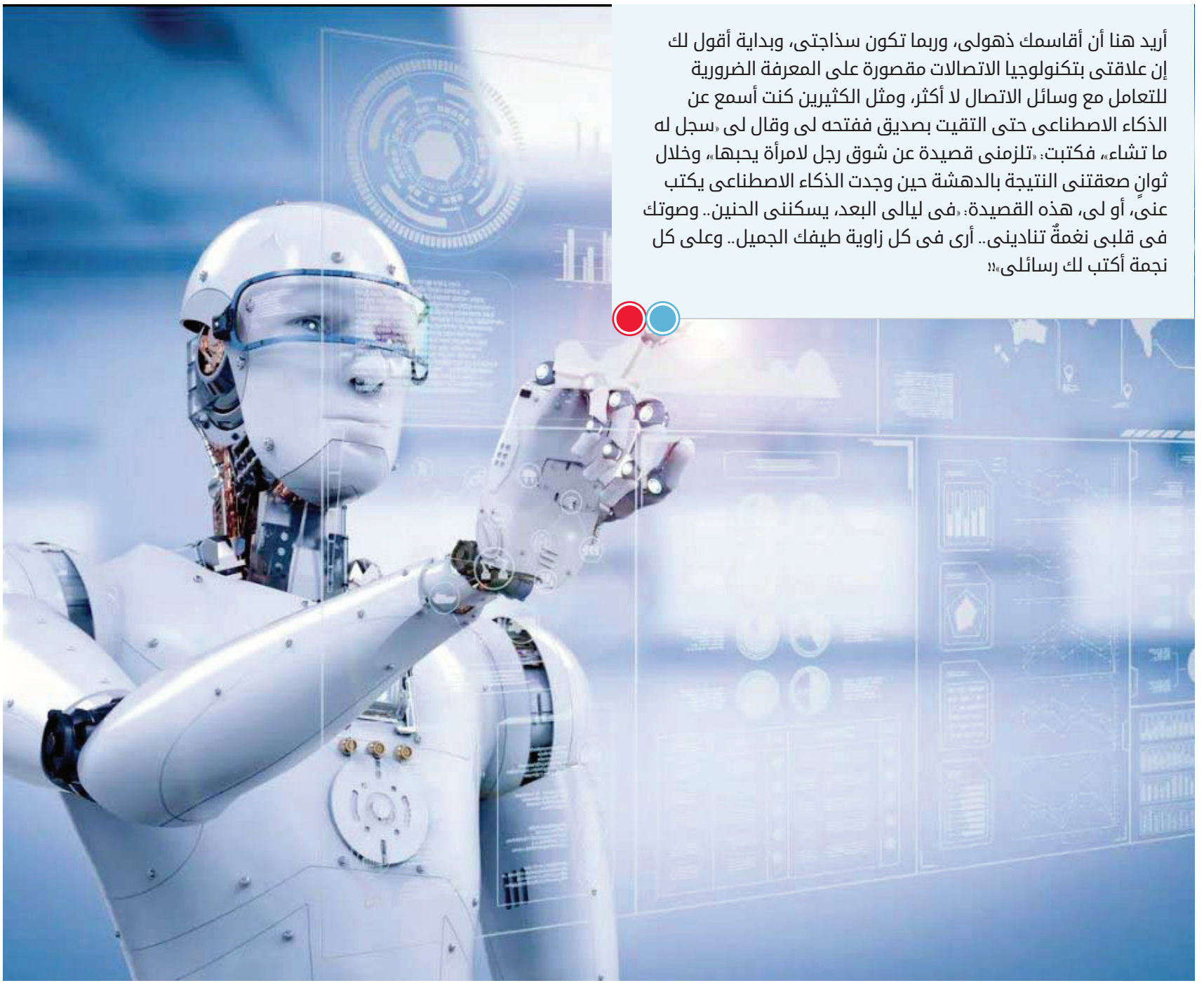

هذه القصيدة لم يكتبها بشر، ولا صدرت عن قلب عاشق، لكنه إبداع جهاز، حاسوب، عديم الشعور والإدراك! ذهلت فطلبت منه أن يكتب لأجلى قصة قصيرة عن شاب فقير يحب فتاة فى منطقة شعبية من القاهرة، ففاجأنى بالقصة الآتية: «أحلام فى زقاق مظلم» قصة قصيرة: «فى حارة ضيقة من أحياء القاهرة الشعبية، حيث تلتقى الأزقة بالأحلام، عاشت ليلى، فتاة فى السابعة عشرة من عمرها، كانت ابنة الحى، تعمل فى مصنع للخياطة لتساعد أسرتها. تعيش حياة عادية ولكن قلبها كان يفيض بالأحلام والقصص. وفى إحدى ليالى الصيف الحارة، بينما كانت الأضواء تلتمع من المقاهى الصغيرة، لاحظت ليلى شابًا جديدًا فى الحى، كان اسمه كريم، شابًا مفعمًا بالحيوية، جاء من قرية نائية بحثًا عن عمل، عيناه اللامعتان كانتا تخبئان قصصًا لم تُروَ بعد. سرعان ما بدأ العمل فى البناء وكان يُعتبر ذكيًا وموهوبًا. تلاقت عيونهما صدفة عند زاوية الشارع، وكانت تلك اللحظة بداية قصة حب غير متوقعة. رغم الفقر والضغوط الاجتماعية، نشأت بينهما صداقة جميلة. كانا يجتمعان فى المساء عندما تنطفئ الأنوار، يتحدثان عن أحلامهما الكبيرة، ولحظات الماضى التى يتمنيان نسيانها».

ويمضى الذكاء الاصطناعى بالقصة إلى الخاتمة كالآتى: «مرت الأيام، لكن حبهما لم يقوَ على مواجهة الصعوبات. فى نهاية المطاف، كان عليهما الاختيار بين العشق والواقع. لكن لقاءهما فى ذلك الزقاق المظلم سيبقى خالدًا فى قلبيهما حزنًا وأملًا».

قل لى أنت، إذا كان بوسع جهاز ميت من الأسلاك واللمبات أن يكتب هكذا، فما الذى تركه للإنسان؟! الأمر ليس فقط مدهشًا لكن مخيفًا أيضًا، كأننا نحدق بفتحة هاوية بلا نهاية، ولذلك الذكاء الاصطناعى مستويات منها البسيط الذى يتعرف مثلًا على الصوت أو الصور، ومنها مستوى قادر على خلق آلات وأنظمة تستطيع أداء أى مهمة فكرية يقوم بها البشر، ويعتمد الأخير على شبكات عصبية اصطناعية تحاكى بنية الدماغ البشرى، وهذا الذكاء ثمرة أو راية الثورة الصناعية الرابعة التى سبقتها ثلاث ثورات: المحرك البخارى ١٧٦٠، ثم ثورة الكهرباء نهاية القرن ١٩، ثم الكمبيوترات والنت والحوسبة فى نهاية ستينيات القرن العشرين، وقد توجت تلك الرحلة الطويلة بالذكاء الاصطناعى، الذى يفوق الخيال، ويثير الخوف، ويفتح الطريق لمئات الأسئلة الحيرى التى تطل من الذهول.

فإذا كان بوسع الدماغ الاصطناعى أن يكتب مثل تلك القصيدة، ومثل تلك القصة، وكل ما تشاء من أنواع أدبية، فما الذى يبقى للإنسان؟ وما الذى يميز الأسلاك الكهربائية عن المشاعر الحارة الحقيقية؟. أظن، أو أود أن أظن، أن الإنسان سيصل إلى تحديد الفوارق القاطعة بين شاعرية الحديد واللمبات والأسلاك، وشاعرية القلب الإنسانى. أتمنى هذا لكننى حتى ذلك الحين أبقى مذهولًا أو قرويًا ساذجًا لا يستوعب ما يجرى، فيدعو الآخرين لمقاسمته هذا الذهول.

> أظن أن الإنسان سيصل إلى تحديد الفوارق القاطعة بين شاعرية الحديد واللمبات والأسلاك وشاعرية القلب الإنسانى

ماجد حبته

إرهابيون فوق القانون

سيطرة الدول الداعمة لإسرائيل على النظام العالمى القائم ومنظومة العدالة الدولية جعلت الحكومة الإسرائيلية المتطرفة ترى نفسها فوق القانون، وفوق المساءلة، وطليقة اليدين فى ممارسة هذا التوحش، غير المسبوق، الذى نراه، منذ سنة تقريبًا، فى قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان، والذى يهدف، إجمالًا، إلى اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، وتصفية قضيتهم، سواء بتدمير القطاع، الذى تحقق تقريبًا، أو بالسطو المسلح على ما تبقى من أراضى الضفة، بما فيها القدس الشرقية.

دول أوروبية عديدة تتشارك مع الولايات المتحدة فى تقديم الدعم العسكرى والمالى لدولة الاحتلال، وتوفير الغطاء السياسى للإرهاب الذى تمارسه حكومتها، سواء داخل الأرض المحتلة أو خارجها. ومع ذلك، أعرب جوزيب بوريل، مسئول السياسة الخارجية فى الاتحاد الأوروبى، أمس الأول الجمعة، عن أسفه لعدم وجود أى قوة قادرة على وقف بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلى، فى غزة أو الضفة أو لبنان، متجاهلًا أن الأخير يمثِّل، أو يقود، شبكة من العصابات الإرهابية، يتزعم بعضها وزراء فى حكومته، وبعضها الآخر يتزعمه قادة ما يوصف بالحراك اليهودى القومى، وسبق أن أكد رونين بار، رئيس جهاز الأمن الداخلى الإسرائيلى، «الشاباك»، نفسه، أن «ظاهرة الإرهاب اليهودى تتسع بسبب عدم الخوف من العقاب وحصول المنفذين على دعم من وزراء فى الحكومة وأعضاء فى الكنيست».

لم تمتثل الحكومة الإسرائيلية المتطرفة، ولن تمتثل، لمقررات الشرعية الدولية وأحكام القانون الدولى والقانون الدولى الإنسانى وميثاق الأمم المتحدة، وقواعد «لاهاى» الخاصة بقانون وأعراف الحرب والمبادئ التى تحكم مشروعية استخدام القوة. بينما لا يزال المجتمع الدولى مكتوف الأيدى أمام إرهابها المستمر، الذى أودى، إلى الآن، بحياة أكثر من ٥٠ ألف فلسطينى ولبنانى، معظمهم من النساء والأطفال، إضافة إلى عشرات الآلاف من المصابين. وصار واضحًا أن هناك ازدواجية فى معايير التعامل مع الحروب والنزاعات المسلحة، نسفت مصداقية قواعد وآليات عمل المنظومة الدولية الراهنة، خاصة «مجلس الأمن» الموكل إليه مسئولية منع وتسوية النزاعات ووقف الحروب والحفاظ على استقرار العالم.

الرفض المصرى الكامل لوجود دولة فوق القانون ولا تخضع للمساءلة، أكده الدكتور بدر عبدالعاطى، وزير خارجيتنا، مساء الجمعة، فى مؤتمر صحفى مشترك لأعضاء اللجنة الوزارية العربية الإسلامية بشأن فلسطين، على هامش جلسة طارئة عقدها «مجلس الأمن». وعلى ضوء تصعيد العدوان الإسرائيلى على لبنان واستمرار العدوان على قطاع غزة والضفة الغربية، كررت مصر، بلسان وزير خارجيتها، التأكيد على ضرورة اضطلاع «مجلس الأمن» بمسئولياته واتخاذ الإجراءات اللازمة للوقف الفورى والشامل والدائم لإطلاق النار فى غزة ولبنان، وتجنيب المنطقة الانزلاق إلى حرب إقليمية مفتوحة.

فى الجلسة الطارئة التى عقدها «مجلس الأمن» بشأن الوضع فى فلسطين، ندّد وزير خارجيتنا بإمعان إسرائيل فى توسيع رقعة الصراع، وأدان عدوانها على لبنان، وقال، بمنتهى الوضوح، إن عليها، مثلها مثل باقى الدول، الالتزام بتنفيذ كل قرارات مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية الصادرة منذ بداية الأزمة، وكذلك أحكام القانون الدولى والقانون الدولى الإنسانى. وطالب الجميع بأن يعلنوا بوضوح عن رفضهم للمُبررات الواهية لاستمرار الحرب الحالية، أو الادعاءات الجوفاء التى تُكررها سلطة الاحتلال عن الإجراءات التى اتخذتها للتخفيف من وطأة التداعيات الإنسانية، والتى ثبُت مرارًا عدم مصداقيتها، و... و... وشدد على أن مجلس الأمن قادر على إحداث تغيير على الأرض إذا خلصت النوايا.

.. وتبقى الإشارة إلى أن مسئول الشئون الخارجية فى الاتحاد الأوروبى، المنتهية ولايته، زعم أن الاتحاد «مارس كل الضغوط الدبلوماسية لوقف إطلاق النار فى قطاع غزة»، ودعا إلى تنويع الجهود والضغوط، بعيدًا عن الولايات المتحدة، موضحًا أنه لا يراها على استعداد لبدء عملية تفاوضية جديدة يمكن أن تؤدى إلى كامب ديفيد أخرى. فى إشارة إلى المفاوضات، التى جرت، سنة ٢٠٠٠، وسعى فيها الرئيس الأمريكى الأسبق، بيل كلينتون، دون جدوى، إلى التوسط فى اتفاق ينهى الصراع الإسرائيلى الفلسطينى.

رئيس الوزراء الإسرائيلى يقود شبكة من العصابات الإرهابية

الديوان

الدستور

المحرر العام: محمد الباز

الأحد ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤ ٢٦ ربيع الأول ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 11

د. منى حلمى

العلم ليس القضية ولكن الشخص الذى يستخدم العلم

بين كل فترة وأخرى، تخرج علينا «الموضات» الفكرية، بالضبط مثل الموضات فى الأزياء. وأنا طوال عمرى، لم أحب أى موضة فكرية، معلبة، جاهزة، صممها آخرون، يُقال عنهم «خبراء»، ولم يحدث أننى لبست ثوبًا حسب تقليعات باريس، أو روما، أو لندن. كنت ألبس من الأفكار ما يتناغم مع عقلى، الذى يشك فى كل الأشياء حتى فى نفسه. وألبس من الأزياء ما ينسجم مع قوامى، وألوانى المفضلة، وحالتى المزاجية. من «الموضات» الفكرية، التى لم أقتنع بها، ولم أحبها، مقولة تتردد على الألسنة، وكأنها فى مقام النشيد الوطنى، أو القسم المقدس، وهى «أننا لن نتقدم إلا بسيادة التفكير العلمى».

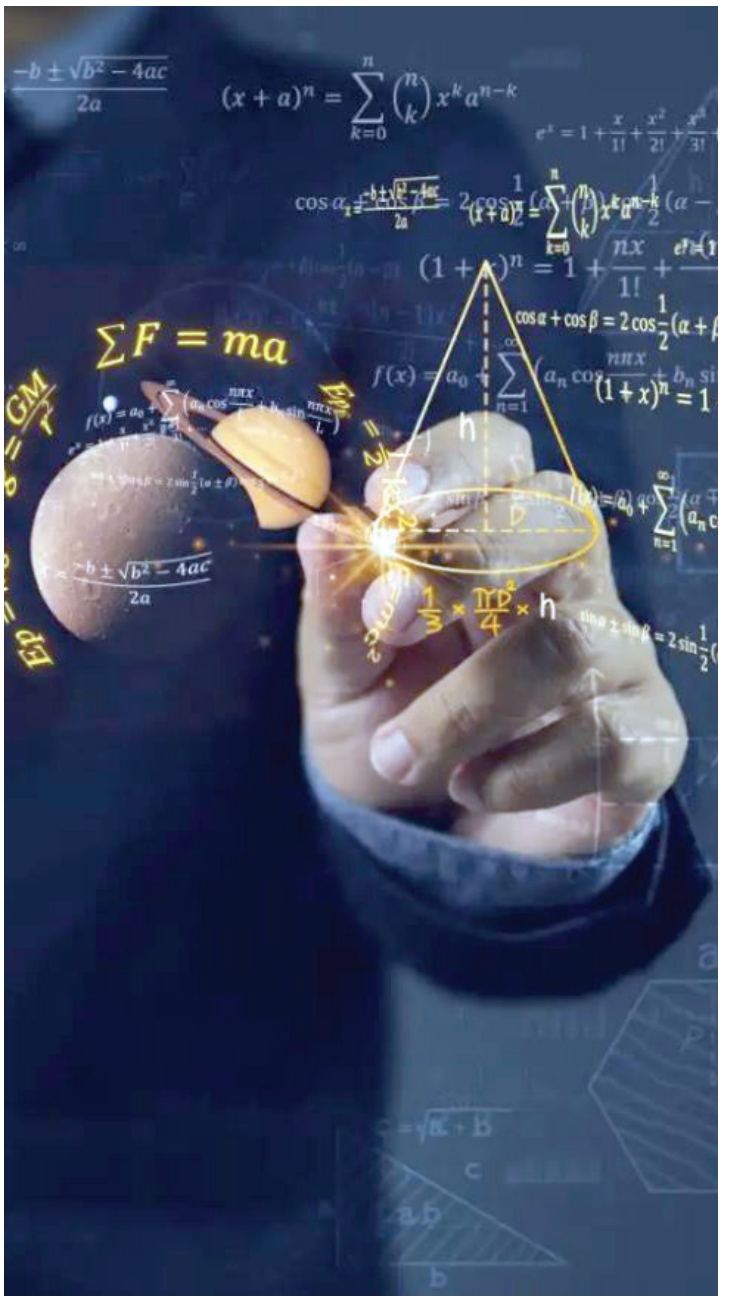

«التفكير العلمى»، هو المفتاح السحرى الذى ينقصنا، حتى نلحق بالأمم التى سبقتنا، فى سباق الحضارة.

أولاً لست مقتنعة بمسألة «السباق الحضارى» أصلاً، بمعنى أننى أريد أن أتقدم، وأحسّن من أحوالى، وأرتقى بحياتى، ليس لأننى فى سباق، وأريد أن أكسبه، وألحق بمنْ يسبقنى، لكن لأننى أرى أن التقدم، وتحسن الأحوال، والرقى بحياتى، من علامات الوجود الإنسانى المشرف. أعتقد أن ما نفتقده، بل ويفتقده العالم، هو «التفكير العادل»، وليس «التفكير العلمى».

ودعونى أعطيكم مثالاً.

قرأت خبرًا فى إحدى المطبوعات المصرية، عن دراسة مصرية حديثة، توضح أن النساء غير المتزوجات، أكثر عرضة للمرض العقلى، وفسرت ذلك على أنه، نتيجة الشعور بعدم الاستقرار والوحدة، والغيرة من النساء المتزوجات وافتقاد الدفء العاطفى الحميم.

يكمن القصور، فى إغفال وتجاهل «مسئولية» المجتمع، فيما تشعر به المرأة غير المتزوجة من أحاسيس «سلبية»، تضر بصحتها النفسية والعقلية، حيث ثقافتنا العربية مبنية، على رفض ونبذ واستنكار واتهام للمرأة غير المتزوجة.

إذا لم يتزوج الرجل، قد يفقد دفء الأسرة، لكنه لا يفقد دفء المجتمع. لكن المرأة غير المتزوجة تفقد الاثنين، دفء الأسرة ودفء المجتمع.

ويربى الرجل العربى، على حرياته المطلقة، داخل الزواج وخارجه.

فى ظل هذا الحصار الشرس، وازدواجية القيم الفاسدة، تحتاج المرأة غير المتزوجة، إلى قوة خارقة وإلى أسلحة استثنائية لتستمر، حتى لا يصيبها اضطراب عقلى أو نفسى.

كما أن القضية ليست الزواج أو عدمه، القضية هى: أى نوع من الزواج؟ ما غايته وما دوافعه؟

هناك نساء كثيرات متزوجات، ومحرومات من الدفء والاستقرار، والأمان، يشعرن بالبرودة والإحباط والوحدة والكبت العاطفى والجنسى، وهن فى أكناف أزواجهن.

وهل يوجد فى الزواج استقرار ودفء وأمان للزوجة، والزوج له حق تعدد الزوجات، والطلاق الشفهى؟ وإذا خان، لا يعيبه شىء إلا جيبه؟

هناك دراسات كثيرة فى مجال الطب النفسى، أثبتت أن المرأة المتزوجة المقهورة، أمام سلطة الزوج، أكثر شعورًا بالاكتئاب والملل وعدم التحقق عن المرأة غير المتزوجة.

بالتالى كان يجب على الدراسة «العلمية»، أن تفسر النتائج بـ«التفكير العادل».

العلم، ربما يرصد الظواهر، لكن «التفكير العادل»، يفسرها للوصول إلى الحقيقة، والتغيير إلى الأفضل. و«الأفضل» بالضرورة هو «عدالة» التفكير.

«مش مهم العلم، المهم الشخص اللى ورا العلم».

علم بدون عدالة، من الأفضل أن «نبله ونشرب ميته».

علم بدون عدالة، مكانه الطبيعى، حتى لا يضرنا، هو سلة المهملات، علم بدون عدالة، ضياع للوقت والجهد والحقيقة والفلوس.

علم بدون عدالة، أدى إلى الإجرام والتعاسة، وأنتج الديناميت وأسلحة الدمار الشامل والقنابل النووية، وتمويل المنظمات الدينية الإرهابية، علم بدون عدالة، أنتج كماليات ترفيهية لا نحتاج إليها حقًا، وهناك ضرورات للحياة، الغالبية محرومون منها. علم بدون عدالة، تبرير وتقنين وترسيخ، لعالم يقتل الإنسانية فى جوهرها.

لست أدرى، ما العلم الخطير الهائل الحديث، الذى نحتاجه لتوفير إعلام راقى الشكل والمضمون، أو توفير علاج آمن للفقراء فى القرى والمدن؟ وتجهيز المستشفيات الحكومية فى الأطراف النائية، بكل معدات الإسعافات الأساسية للحياة؟

وما هو «التفكير العلمى»، الفظيع الذى ينقصنا، لننتج ما نأكله، ونقلل من الزيادة السكانية، ونمنع تلوث البيئة بالضوضاء والعادم؟ وما هو «التفكير العلمى» الغائب، حتى نلغى طاعة المرأة للرجال؟ ونلغى الإعلام السلفى؟

وما هو «العلم الحديث» الذى نفتقر إليه، لتنظيف الشوارع من القمامة، وتنظيف عقولنا من الأوهام، والخرافات، والجشع، والكذب، والبيروقراطية، وحب التملك، والوصاية الدينية؟

وما «العلم» المفقود، لردم ترعة آسنة، أو رغلق بلاعة خطرة، أو محو قوانين ضد المواطنة، أو تغطية سلك كهرباء عار، يقتل الصغار والكبار.

وأى علم هذا الذى يعلمنا الأدب والتهذيب والرقى فى الحوار، والنقاش، مع المخالفين لنا قلبًا وقالبًا؟

«بيزنس» كبير مربح، اسمه إرهاب «البحث العلمى»، كل عصر يظهر بموضة مختلفة اللهجة والشكل، تُرصد له ميزانيات ضخمة، ومكاتب مكيفة الهواء، وعمالة أنيقة المظهر، رفيعة الشهادات، تبحث وتدرس، لإعادة إنتاج الأوضاع غير العادلة.

علم بدون عدالة ضياع للوقت والجهد والحقيقة والفلوس

من بستان قصائدى

لا تخف
ولا تقف فى المنتصف
مهما كانت الإغراءات
كن فقط نفسك
لا تميل لطرف

ثق بحكمة التغير
وأن دوام الحال
درب من المحال
والنهر عائد لمجراه
مهما تاه وانحرف